قصص ونوادر
ظرفاء العرب

تأليف

الكاتب الإسلامي

الشيخ / بكر محمد إبراهيم

مركز الراية للنشر والإعلام

عضو اتحاد الناشرين المصريين

عضو اتحاد الناشرين العرب



مركز الراية للنشر والاعلام

أسسة احمد فكرى عام ١٩٩٣

٣٠ميدان الحسين – السوق التجارى-مكتبة فكرى –
تليفون ٥٩٢٦٢١٩

اسم الكتاب /قصص ونوادر الظرفاء العرب

اسم المؤلف / بكر محمد ابراهيم

تصميم الغلاف / EVENT ADVERTISING

م . محمد لبيب / ٠١٠١٥٠٧٢٧٠

الطبعة الاولى / يونيو ٢٠٠٣

رقم الايداع / ١١٢٣٢ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى / I.S.B.N. : 977 - 354 - 011 - 1

﴿ المقدمة ﴾

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،،،

وبعد،،،

فهذا الكتاب (نوادر جحا وأشعب) يضم أخبار اثنين من ملوك الظرف والذكاء وسرعة البديهة.

فجحا اشتهر بنوادره ونكاته الساخرة، وحسن تخلصه في الشدائد، وصار مضرب المثل، وانتقلت سيرته عبر الأجيال حتى وصلت إلينا.

أما أشعب فهو أشهر الطماعين والأكالين والظرفاء، أجاد فنوناً كثيرة، وكان علية القوم يستدعونه ليكون لهم نديماً وسميراً، وقد حملت أخبار جحا وأشعب كثيرٌ من كتب التراث مثل: الأغاني لأبي الفرج، وأخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، ورسائل الجاحظ وغيرها من كتب التراث.

ولنترك القارئ يغوص في أعماق هاتين الشخصيتين ويستمتع بالملح والنوادر وأحوال المجتمعات العربية القديمة.

والحمد لله له الحمد والمنة، هو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف.

الباب الأول نوادر جحا

تعريف جحا

تكلم ابن الجوزي في كتابه (أخبار الحمقى والمغفلين) فذكر منهم (جحا) فقال: ومنهم جحا، ويكنى أبا الغصن، وقد روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء إلا أن الغالب عليه التغفيل، وقد قيل: إن بعض من كان يعاديه وضع له حكايات، والله أعلم.

عن مكي ابن إبراهيم أنه يقول : رأيت جحا رجلاً كَيساً ظريفاً، وهذا الذي يقال عنه مكذوب عليه، وكان له جيران مخنثون يمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه.

* جحا يجلس في الشمس *

- وعن أبي بكر الكلبي أنه قال: خرجت من البصرة، فلما قدمت الكوفة، إذا أنا بشيخ جالس في الشمس، فقلت: يا شيخ، أين منزل الحكم؟ فقال لي: وراءك، فرجعت إلى خلفي، فقال: يا سبحان الله! أقول لك وراءك وترجع إلى خلفك!.

* سقوط القميص *

- وعن أبي الحسن قال: قال رجل لجحا: سمعت من داركم صراخاً، قال: سقط قميصي من فوق، قال: وإذا سقط من فوق؟ قال: يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه!.

* جحا في الحمام *

➢ وخرج يوماً من الحمام في يوم بارد، فمس الريح خصيتيه، فإذا إحدى بيضتيه قد تقلصت، فخرج إلى الحمام وجعل يفتش الناس، فقالوا: مالك؟ فقال: قد سرقت إحدى بيضتي. ثم أنه دفئ رحمي، فرجعت البيضة، فلما وجدها سجد لله شاكراً وقال:كل شيء لا تأخذه اليد لا يفقد.

* جحا والحفار *

➢ ومات له جار، فأرسل إلى الحفار ليحفر له، فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر، فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها، فسئل عنها فقال: إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم، وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونربح ثلاثة دراهم، ويستريح من ضغطة القبر، ومسألة منكر ونكير.



* جحا يتبخر *

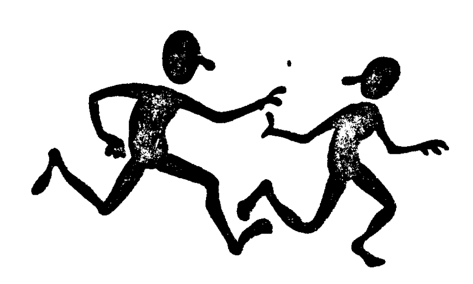
➢ وقيل: إن جحا تبخر يوماً فاحترقت ثيابه، فغضب وقال: والله لا تبخرت إلا عرياناً.

*** ريح شديدة ***

➢ وهبت يوماً ريح شديدة، فأقبل الناس يدعون إلى الله ويتوبون، فصاح جحا: يا قوم، لا تعجلوا وإنما هي زوبعة وتسكن.

*** جحا والتراب ***

➢ وذكر أنه اجتمع على باب دار أبي جحا تراب كثير من هدم وغيره، فقال أبوه: الآن يلزمني الجيران بأن أرمي هذا التراب، وأحتاج إلى مئونة، وما هو بالذي يصلح لضرب اللبن، فما أدري ما أعمل به، فقال له جحا: إذا ذهب عنك هذا المقدار فليت شعري أي شيء تحسن، فقال أبوه: فعلمنا أنت ما تصنع به، فقال: نحفر له آباراً ونكبسه فيها.



*** جحا والحمّال ***

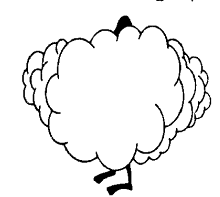
➢ واشترى يوماً دقيقاً وحمله على حمّال، فهرب بالدقيق، فلما كان بعد أيام رآه جحا فاستتر منه، فقيل له: مالك تفعل كذا؟ فقال: أخاف أن يطلب مني كراءً (أجرة الحمل).

*** جحا يشتري لأبيه رأساً مشوياً ***

➢ ووجهه أبوه ليشتري رأساً مشوياً، فاشتراه وجلس في الطريق، فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه، وحمل باقيه إلى أبيه، فقال: ويحك، ما هذا؟ فقال: هو الرأس الذي طلبته. قال: فأين عيناه؟ قال: كان أعمى، قال: فأين أذناه؟ قال: كان أصم. قال: فأين لسانه؟ قال: كان أخرس. قال: فأين دماغه؟ قال: فكان أقرع. قال: ويحك، رده وخذ بدله. قال: باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب.

*** جحا والدراهم ***

➢ وحكي أن جحا دفن دراهم في الصحراء، وجعل علامتها سحابة تظلها.



***جحا وكفن أبوه ***

➢ ومات أبوه، فقيل له: اذهب واشتر الكفن، فقال: أخاف أن أشتري الكفن، فتفوتني الصلاة عليه.

*** جحا يعرض على السيف ***

➢ وحكي أن المهدي أحضره ليمزح معه، فدعا بالنطع (بساط من جلد) والسيف، فلما أقعد في النطع، قال للسياف: انظر لا تصب محاجمي، فإني قد احتجمت.

***جحا يبحث عن جارية ***

- ورأوه يوماً في السوق يعدو. فقالوا له: ما شأنك؟ فقال: هل مرت بكم جارية رجل مخضوب اللحية؟.

*** مسجد الجامع ***

- واجتاز يوماً باب الجامع، فقال: ما هذا؟ فقيل: مسجد الجامع، فقال: رحم الله جامعاً، ما أحسن ما بنى مسجده!.

*** جحا والخوخ ***

- ومر بقوم وفي كمه خوخ، فقال: من أخبرني بما في كمي فله أكبر خوخة. فقالوا: خوخ، فقال: ما قال لكم هذا إلا من أمه زانية.

*** جحا والقمر ***

- وسمع قائلاً يقول: ما أحسن القمر، فقال: إي والله خاصة في الليل.

*** جحا والحساب ***

- وقال له رجل: أتحسن الحساب بإصبعك؟ فقال: نعم، قال: خذ جريبين (مكيالين) حنطة (قمحاً)، فعقد الخنصر بالبنصر، فقال له: خذ جريبين شعيراً، فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى، فقال الرجل: لم أقمت الوسطى؟ فقال: لئلا يختلط الحنطة بالشعير.

* جحا والبازي *

- ومر يوماً بصبيان يلعبون ببازي ميت، فاشتراه منهم بدرهم، وحمله إلى البيت، فقالت أمه: ويحك! ما تصنع به وهو ميت؟
فقال لها: اسكتي، فلو كان حياً ما طمعت في شرائه بمائة درهم.

* جحا يودع أباه *

- وخرج أبوه مرة إلى مكة، فقال له عند وداعه: لا تطل غيبتك، واجتهد أن تكون عندنا في العيد لأجل الأضحية.

* جحا يشكو من النفاق *

- كان جحا دائم الشكوى من أهل بلده، يقول لكل من لقيه منهم أو من الغرباء عنهم: إنهم كلهم منافقون رقعاء. ولامه هذا وراجعه ذاك، فعمد إلى إقناع اللائمين والمناقضين بأسلوبه في الإقناع: أسلوب المشاهدة والعيان، فخلع باب الدار وحمله على ظهره، وقال: لأول مناقض له في تشهيره بأهل البلد: تعال معي واحسب. وعند منعطف الطريق صاح به صائح من أهل البلد وهو يضحك: ما هذا الذي تحمله على ظهرك يا جحا؟ فقال جحا لصاحبه: هذا واحد، ألا تراه لا يعرف الباب الطويل العريض الذي يسأل عنه؟!.

* حدود الأبوة *

- وسئل جحا: هل يولد للرجل بعد بلوغ الستين؟

قال: يجوز.

قيل: وبعد بلوغ الثمانين؟

قال: يجوز.

قيل: وبعد بلوغ المائة؟

قال: نعم ، إذا كان له جار في العشرين.

* لمالت بهم الأرض *

- سألوه لماذا ينتشر الناس في جوانب الأرض؟ ولماذا يذهبون ذات اليمين وذات اليسار كل صباح؟ فتأمل قليلاً ثم قال: لو ذهبوا إلى ناحية واحدة لمالت بهم الأرض، وانكفأت بهم في هاوية ليس لها قرار.

* تماطل الله وتستدين *

- جلس جحا يبيع زيتونه فساومته امرأة، واستكثرت على الزيتون الثمن الذي طلبه، وقالت له: إذا أردت أن تبيعني بالثمن الذي أخبرتك به مؤجلاً فأنت تعرف زوجي، وهو فلان ابن فلان. وناولها جحا زيتونة لتذوقها، وتعرف جودة الصنف، وحقه من الثمن، فاعتذرت بأنها صائمة لأنها وضعت منذ سنة وأفطرت في شهر رمضان. فقال جحا:

الآن بطل الخلاف، لا مساومة، ولا تأجيل.. أتراك تماطلين الله سنة، ولا تماطلينني إلى يوم القيامة!.

* لا تكن في النعش *

- سُئل جحا أيهما أفضل: المسير خلف الجنازة، أم المسير أمامها؟ فقال: لا تكن في النعش، وسر حيث تشاء.

* هاتها تسعة *

- رأى في منامه شخصاً أعطاه تسعة دنانير بدلاً من عشرة كان يطلبها منه، فاختلفا وتنازعا، ولما احتدم الجدال انتبه من نومه مذعوراً، فلم ير في يده شيئاً، فتكدر ولام نفسه على طمعها، ولكنه عاد فاستلقى في فراشه، وأنزل رأسه تحت اللحاف ومد يديه إلى خصمه الموهوم قائلاً : هاتها تسعة ولا تزعل.

*خرجت من القبر للفسحة *

- كان يتمشى يوماً خارج البلد أمام مقبرة، فرأى جماعة من الفرسان، قادمين نحوه، فأوجس منهم خيفة، ولكن قبراً قديماً رآه مفتوحاً أمامه، أوحى إليه فكرة الاختفاء فيه، فخلع ثيابه العليا ونزل فيه، فلما اقترب الفرسان رأوه في القبر عاري نصف الجسم، استغربوا حالته، فسألوه :

ماذا تعمل في القبر يا هذا، فحار في الجواب ولكنه استدرك وقال: أنا من أهل القبور وقد سئمت طول المكث، فاستأذنت ربي أن أخرج قليلاً للفسحة فأذن لي، فضحك الفرسان وتركوه لشأنه.

*** أكل الحلوى جبراً ***

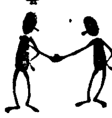
- ذهب إلى قونية ودخل، وكان حلواني يعرض أطباق الحلوى فاقترب من أحدها وقال: بسم الله، ثم بدأ يلتهم ما في الطبق قطعة قطعة، فاعترضه الحلواني وقال له: بأي حق تأكل مال الناس بهذه الجرأة؟ فلم يلتفت جحا إلى كلامه، بل ظل مواظباً على الأكل. فلم يكن من بائع الحلوى إلا أن أخذ عصا وراح يضربه بها، ولكن ذلك لم يمنع جحا من متابعة الأكل بسرعة زائدة، قائلاً: بارك الله فيكم يا أهل قونية،إنكم تطعمون زائريكم الحلوى بالجبر والضرب.

*** اللفت المحشو بالجزر ***

- جاء رجل وفي يده بيضة، وقال له: إذا حزرت ما بيدي أعمل لك منه أكلة عجة. فأجاب جحا: صف شكله ولونه؟ قال: هو بيضاوي الشكل، خارجه أبيض وداخله أصفر. قال: حزرت، إنه لفت فرغوا داخله، وحشوه جزراً.

*** ظننت أنك أنا ***

➢ اجتمع يوماً بشخص لم تسبق له بـه معرفـة، فـأخذ يحادثـه جحـا كأنـهما صديقـان قديمـان، ولمـا هـم الرجـل بـالانصراف سـأله جحـا: عفـواً يــا سيدي، إنني لم أعرف حضرتك، فمن أنت؟ فقال الرجل: وكيف تحدثني بدون تكلف، كأن بيننـا معرفـة سـابقة؟ فقـال جحـا: اعذرنـي فقـد رأيـت عمامتك كعمامتي، وقفطانك كقفطاني، فخيل لي أنك أنا.



*** حداد ***

➢ لبس يوماً ثياباً سـوداً، فتقـدم إليـه بعـض معارفـه وسـأله عمّـا إذا كـانت أصابته مصيبة ألبسته السواد. فقال: نعم، لقد أصبت بوفاة والد ابني.

*** لا دجاج بلا ديك ***

➢ دعاه يوماً بعض شبان مدينة آن شهر إلى الحمام، واتفقوا على أن يـأخذ كل واحد منهم معه بيضة، حتـى إذا دخلـوا الحمـام وجحـا معـهم، قـالوا لبعضـهم: تعالوا نبيض كل واحد منا بيضة، ومـن لا يبيـض يدفـع أجـرة الحمـام، فجلسـوا بأجمعـهم وصـاروا يقلـدون صـوت الدجاجـة عندمـا تبيض، وما هي إلا برهة حتى رفع كل منهم بيده بيضة. فلما رآهم جحا على هذه الحالة، أدرك ما دبروه له من المكيدة، فقـام بينـهم يصيـح كمـا

يصيح الديك، فقال الشبان: ماذا تفعل؟ فقال: أنا ديككم، وهل رأيتم في عمركم دجاجاً بلا ديك!.

* البغال في الآخرة *

➢ كان يتمشى يوماً فنزلت رجله في قبر قديم فوقع، ولما كان في داخل القبر خطر له أن يجرب فيما إذا كان يأتيه الملكان: منكر ونكير لو صادفاه في القبر أم لا؟ ولم يمض عليه إلا برهة حتى سمع قرقعة أجراس، وضوضاء شديدة تقترب من القبر الذي هو فيه، فظن أن القيامة قد قامت، فخرج من القبر يريد الفرار، ولكن البغال التي هي سبب هذه الجلبة الكبيرة كانت قد اقتربت منه، ولما رأته عرياناً مهرولاً جفلت وتضاربت ببعضها البعض، فتكسرت أحمالها الزجاجية الثمينة، فهجم عليه أصحابها مستغربين هيئته وحالته وقالوا له: من أنت؟ وماذا تفعل؟ قال: أنا من أهل الآخرة، أتيت لأتفرج على الدنيا. قالوا: قف إذاً لنريك كيف تكون النزهة. ثم حملوا عليه ضرباً ولكماً حتى شجوا رأسه، وأدموا وجهه وجسمه، وتركوه على هذه الحالة لا يعي من الدنيا على رأي. ولما عاد إليه صوابه في منتصف الليل، قام يجر نفسه إلى بيته، فقالت له امرأته: من أين أنت آت في هذه الساعة وعلى هذه الحالة؟ قال: إني وقعت في قبر واجتمعت بالأموات. قالت: وماذا رأيت هناك؟ قال: لا شيء في الآخرة إذا لم تخف منك البغال.

* كلي يا فروتي *

➢ دُعي إلى وليمـة، فذهب إلـى الدعـوة بثيـاب خَلِقَـة (قديمـة، باليـة)، فلـم يحسن أصحاب الدعوة استقباله، ولم يعيروه التفاتاً، فانسـحب حـالاً مـن بين المدعوين، وأسرع إلى داره ولبس أحسن ثيابـه، وزاد عليـها فـروة جميلة، ثم عاد إلى بيـت الدعـوة، فلمـا رأوه علـى هـذه الحالـة قـاموا لـه وقوفاً، واستقبلوه بالتبجيل والتعظيم، وأعطوه صدر المـائدة، ثـم راحـوا يقدمون له أحسـن الأطعمـة وأنفسـها، فلـم يكـن منـه إلا أن أخذ بفروتـه وقال لها: كلي يا صاحبة القدر والفخر. قالوا: ماذا تصنع أيـها الأسـتاذ؟ قال: إن فروتـي تعـرف مـا لا تعرفـون، وهـي أولـى بالطعـام، لأن كـل الإكرام موجه لها.

* ماذا يعنيك *

➢ أتاه رجل في السوق وقـال لـه: أبشـرك بمولـود ذكـر. قـال: إذا ولـد لـي مولود ذكرٌ فإني أحمد الله. ولكن ماذا يعنيك أنت؟.

* حامل في شهرها السادس *

➢ ذهب يوماً إلى السوق يريد أن يبيع بقرة له، فلم يتقدم لشرائها أحد، فرآه أحد أصحابه وسأله: ألم تبع بقرتـك إلـى الآن؟ قـال: لا، لأنـي مـا زلـت أصحبها من الصباح إلى الآن، وقد وصفتها بأحسن الصفـات، فلـم أجـد لها راغباً. قال صديقـه: هـات بقرتـك والحقنـي، فأخذهـا هـذا ودار بيـن

الناس يقول: بقرة فتاة حامل في شهرها السادس، فاجتمعت عليه الزبائن، واشتراها أحدهم بزيادة عن السعر الذي كان يأمله جحا، فشكر شيخنا صديقه، وحمل دراهمه، وعاد إلى بيته مسروراً، ولم تمض أيام قلائل حتى جاءته بعض الخاطبات يخطبن ابنته، فطلبت إليه امرأته أن يتغيب قليلاً، حتى تستقبل السيدات وتريهن ابنتها، وتعدد لهن محاسنها، فلعلها تروق لهن فيخطبنها، فقال: إياك أن تفتحي فاك بكلمة، فقد عرفت طريقة جديدة لتصريف الكاسد، ولسوف أطبقها على ابنتنا فتتزوج ويتهافت عليها الخاطبون. فقالت في نفسها: لعل الشيخ تعلم شيئاً جديداً حسناً. وبعد أن استقبلت الخاطبات وجاءت ابنتها تحتفي بهن وتقبل أيديهن، قالت لهن: إني أرغب إلى زائراتي الكريمات أن يستترن قليلاً، فإن لوالد الفتاة كلمات يريد أن يقولها بنفسه لكنّ، ثم أذن للشيخ أن يدخل، فدخل وقال: أيتها السيدات لم يكن الإكثار من الكلام ليفيد شيئاً في هذا السبيل، إني أختصر لكن صفات ابنتي ببضع كلمات: إنها فتاة أصيلة وحامل في شهرها السادس وكفى. فنظرت الخاطبات إلى بعضهن البعض خلسة، وانصرفن من البيت مسرعات، ودون أدنى جواب.

*** لو كنت لابسه ***

➢ خيل له وهو ينظر إلى الجنينة أن لصاً يتسلل بين الأشجار، فأيقظ امرأته وقال لها: هاتي القوس والنشاب حالاً، فأحضرتهما له، فأخذهما

وأحكم النشاب في القوس ورمى ما حسبه لصاً في بطنه، فأصابه فاطمأن باله وعاد إلى فراشه. ولما أصبح الصباح خرج إلى الجنينة يبحث عن الجثة، فلم ير إلا قفطانه وقد خرقه النشاب في مكان السرة تماماً، فما تمالك أن خر ساجداً لله يشكر الله على لطفه ونعمه. فقالت له امرأته: وما شأنك؟ وعلام هذا الحمد ومثل هذا الخشوع؟ فقال لها: ويحك أيتها المرأة البلهاء. ألا ترين الضربة كيف أصابت السرة تماماً، وخرقت القفطان، ولو كنت لابسه ماذا كان جرى لي؟ ثم انزوى منقبض الوجه وأخذ يمسك بطنه بيديه ويجهر بالحمد لله.

* عندما كنت حياً *

➢ خرج يوماً ليحتطب، فصعد شجرة ليقطع غصناً منها، فوقف على الجانب الذي يقطعه، فقال له أحدهم: يا رجل ماذا تصنع؟ الآن تقع. فلم يعره أذناً صاغية. ولما انتهى من قطع الغصن سقط به على الأرض وارتضّ جسمه وشجّ رأسه، فتحمل آلامه وأسرع إلى ذلك الرجل قائلاً: يا ولدي الآن علمت بأنك من أهل الكشف لأنك أخبرتني أني سأقع، فأخبرني عن زمان موتي، وتعلق بأذياله راجياً ولم يدعه يذهب في سبيله. فلما أعيت الرجل الحيلة ولم يجد سبيلاً للخلاص من هذه الورطة، قال له :متى حملت حمارك حطباً ونهق النهقة الأولى، خرجت نصف روحك، فإذا نهق الثانية، خرجت كلها. واستأنف الرجل

السير في طريقه، وسار جحا بحماره، فمر بقافلة فيها حمير، فنهق حماره، فقال جحا: هذه أول سكرات الموت، وبعد قليل نهق حماره الثانية، فانتفض جحا وقال: إي والله لقد مت، وانطرح على الأرض كالأموات. فمر به بعض أهل القرى القريبة، فظنوه ميتاً فأحضروا تابوتاً ووضعوه فيه، وذهبوا إلى البلدة، فاعترضهم في طريقهم مستنقع عسر المرور، فوقفوا يتشاورون كيف يجتازون تلك الوحول، من هنا أم من هناك، وأي الطرق أقرب وأسهل. وبينما هم كذلك إذ أخرج جحا رأسه من التابوت، وقال لهم مشيراً إلى إحدى الجهات: لما كنت حياً كنت أمر من هنا، ومع ذلك فأنتم مخيرون.

* نقطة من عرقه *

- رأت زوجته على ثيابه نقطة حبر سوداء، فسألته عنها، فقال: لا أدري، ولكن أذكر أن تلميذي حماداً الحبشي جاء لي أمس والعرق يتصبب منه، فقبل يدي، وأظنها نقطة من عرقه.

* مسمار جحا *

- جاء أحدهم ليشتري بيت جحا، فقال له: أبيعك البيت، بشرط أن يبقى هذا المسمار في الحائط لي. فقال الشاري: هو لك.

قال جحا: وسيكون من حقي زيارة هذا المسمار في أي وقت من الأوقات، فوافق المشتري على ذلك أيضاً.

وفى الصباح، ساعة الإفطار دخل جحا ليزور مسماره، فدعاه الرجل إلى الإفطار. وعند الظهر ساعة الغداء، اشتاق جحا لمسماره فذهب لزيارته، فدعاه الرجل صاحب البيت إلى الغداء.

وفى الليل ساعة العشاء، حضر جحا ليتفقد مسماره، فدعاه الرجل إلى العشاء. ولم يكن جحا يدع ساعة من ساعات الراحة أو النوم إلا ويأتي فيها لزيارة مسماره بحجة أنه يريد أن يطمئن إلى أن المسمار لا يزال في مكانه. وتوالت زيارات جحا إلى البيت حتى ضاق المشتري بها ذرعاً، وصاح بجحا: لن تأتي بعد اليوم إلى هذا المنزل.

فقال جحا: والمسمار؟ قال المشتري: خذ مسمارك وانصرف من هنا.

قال جحا: لا . . . لا. . . لقد اتفقنا عندما بعتك المنزل أن يبقى حيث هو، كما اتفقنا أن أزوره في أي وقت أشاء، وهذا مسجل في عقد البيع، أطال المشتري التفكير في الأمر، فلم يهتد إلى حيلة تخلصه من حجا، فتنازل عن البيت وانتقل إلى منزل آخر دون أن يأخذ من المبلغ الذي دفعه لجحا شيئاً.

* ألف ولا أقبلها ناقصة ديناراً *

➢ كان جحا ذات يوم جالساً في بيته يتمنى، وأخذ يدعو الله أن يرزقه ألف دينار، وكان يقول وهو رافع وجهه إلى أعلى: ألف دينار يعني ألف دينار، ولا أقبلها أبداً إن كانت ناقصة ديناراً واحداً.

وسمعه جاره، فتعجب لهذا الدعاء، وأراد أن يختبر جحا، فأخذ تسعمائة وتسعة وتسعين ديناراً ووضعها في صرة، ورماها أمام جحا من كوة في الحائط.

شاهد جحا الصرة تقع أمامه فلم يصدق عينيه، وأخذها وفتحها فإذا هي مملوءة بالدنانير، فقال: ما أسرع ما استجاب الله لدعوتي، ثم أخذ يعد المبلغ فوجد أنه ينقص ديناراً عن المبلغ الذي تمناه، فقال: إن الذي وهبني هذا المبلغ الكبير لن يبخل علي بالدينار المتبقي، وسيرميه من الكوة عاجلاً أم آجلاً. ثم أخذ المال ووضعه في صندوقه وأقفل عليه.



فهرع جاره إلى بابه، وراح يدقه بغيظ دقاً متواصلاً.

قام جحا إلى الباب وفتحه، فصاح به جاره: هات الصرة.

فقال جحا: أية صرة؟

قال الجار: الصرة التي سقطت عليك من الكوة منذ لحظات.

قال جحا: أوَ يرزقني ربي شيئاً ، وتأتي أنت لتأخذه مني؟

قال الجار: الصرة صرتي، وأنا الذي رميتها لك.

قال جحا: ولماذا فعلت ذلك؟

قال الجار: أردت أن أعرف، هل تقبل الدنانير ناقصة أم لا تقبلها؟

قال جحا: لن أصدق ما تقول.

قال الجار: سأجعلك تصدق بالقوة.

وهجم الجار على جحا، وهجم جحا عليه، وتعاركا وتصايحا، وأقسم الجار ألا يدعه إلا إذا ذهب معه إلى القاضي، فوافقه جحا على ذلك، لكنه قال للجار: أنا مريض ولا أستطيع المشي، وأخاف من البرد وليس معي ملابس ثقيلة، فأعطني عباءتك، وهات لي حمارك أركبه. عند ذلك أذهب معك إلى القاضي. فأعطاه الجار عباءته، وأركبه على حماره، واصطحبه إلى المحكمة، وعندما قابلا القاضي، قال الجار شاكياً:

- لقد أخذ مني جحا صرة نقودي، فيها ألف دينار إلا واحداً.

فسأل القاضي جحا: أ صحيح ما يقول جارك يا جحا؟

قال جحا: إنه كاذب يا سيدي القاضي، وهو ما ينفك يدعي أن جميع ما أملكه أنا هو ملك له. قال القاضي: ما الشاهد على ما تقول؟

عندها تقدم جحا من القاضي وهو يمسك بطرف العباءة التي يلبسها، وقال: لو سألته يا سيدي القاضي عن عباءتي هذه فسيدعي أنها له!.

وسأل القاضي الجار على الفور: لمن هذه العباءة التي على جحا؟

فأجاب الجار: إنها لي يا سيدي القاضي.

فضحك القاضي والحاضرون، وانتهز جحا الفرصة وقال: لو تسأله يا سيدي عن حماري الذي جئت به إلى المحكمة، فلعله سيدعي أنه حماره أيضاً. فسأل القاضي الجار: وحمار جحا ! أهو لك أيضاً؟

فأجاب الرجل غاضباً: إنه ليس حماره ، بل حماري أنا.

فنظر القاضي إليه وقال: حقاً إنك مدع وكذاب، اخرج وإلا عاقبتك.

فخرج الجار من المحكمة متحسراً نادماً، وربح جحا نقوده، وعباءته وحماره.



*** أمنية ***

- كان عند جحا ثور عظيم القرنين، حتى كأنهما قوسان، وبينما الثور راقد تأمل فيه، وتمنى لو يجلس ساعة بين قرنيه، فتقدم متأنياً وقفز إلى رأس الثور فركبه، وأمسك القرنين، وذعر الثور فنهض قائماً، وانتفض فسقط جحا على الأرض وأغمي عليه، فأسرعت إليه زوجته وظنته قد مات، فأخذت بالصياح، فأفاق من غشيته، وقال: لا تبكي . . . لا تبكي يا عزيزتي فأنا وإن أصابتني هذه الأوجاع، فقد نلت مرادي.

*** قطن وكتان ***

- حلق له مزين بليد، فجرحه عدة جراح ووضع عليها قطناً، فشعر بذلك جحا ونهض قائماً، فقال له المزين: اصبر حتى أنتهي. فأجابه: كفى، لقد زرعت نصف رأسي قطناً وأريد أن أزرع النصف الآخر كتاناً.

*** يعرف ماذا يصنع ***

- كان الشيخ جحا ضيفاً في إحدى القرى، فضاع هميانه (خُرجه) فقال لأهل القرية: إما أن تجدوا لي همياني، أو إني أعرف ماذا أصنع. ولما

كان الفلاحون يعرفون أن الشيخ من أعيان البلد، حاروا في أمرهم وأخذوا يفتشون على الخرج حتى وجدوه وردوه إليه. وتقدم أحدهم من الشيخ قائلاً: لو لم نجد الهميان فماذا كنت تصنع؟ فأجابه الشيخ بكل سكون: عندي بساط قديم كنت أجعله هميانا.

*** تخلص ***

➢ بينما كان يحتطب في أحد الأيام رأى أرنباً فصاده، وكان حتى تلك الساعة لم ير أرنباً. فقال في نفسه: هذا حيوان عجيب، يجب أن آخذه إلى أهل البلدة وأريهم إياه، فلعلي أجد من يعرف ما هو. ووضعه في كيس وربط فمه ربطاً محكماً وأحضره إلى البيت، وقص القصة على امرأته، وحذرها من فتح الكيس، وقال: أنا سأذهب لأنادي بعض الأهلين وأريهم إياه.

وبما أن المرأة لا تستطيع الصبر وتحرص على معرفة ما يمنع عنها، قالت لما انفردت بنفسها: لأنظر ماذا في الكيس؟ إذ كثيراً ما يفعل الشيخ مثل هذه السخافات. وما أن فتحت الكيس حتى فر الأرنب من النافذة، فحارت المرأة في ما تفعله، فما وجدت وسيلة سوى أنها وضعت علبة الشعير في الكيس، وأعادت ربطه كما كان. وانتظرت النتيجة، وظنت أن الشيخ لا يأتي إلا ببعض الهزليين، أو أنهم ربما لا يصدقونه فلا يحضر أحد وتنقضي المسألة.

أمـا جحـا فإنـه أثنـاء ذهابـه التقـى بأعيـان البلـدة وأشـرافها ومأموريــها ذاهبين إلى ضيافة، فنحاهم الشـيخ فحضـروا حتـى غُطـت ردهـة الـدار الكبرى وجلسوا صفوفاً منبههم إلى أنهم متى قالوا جميعـهم هلـم يخـرج لهم المخلوق العجيب.

فاهتم كل منهم غاية الاهتمام، وأخـذوا يحدقـون بـالكيس رافعيـن أيديـهم وعندما قـالوا هلـم، فتـح الكيس فتحـة فخـرج منـه شـيء تدحـرج علـى الأرض، فحار الشيخ فـي أمـره، مـاذا يقـول النـاس وقـد دعـاهم لشـيء غريب، ولم يظهر في الكيس سوى علبة عادية فارغة، فما كان منــه إلا أن قال ببداهـة: كـل عشـر علـب مملـوءة مـن هـذه العلبـة تسـاوي كيلـة واحدة.

* كيف تعرف النساء *

➢ كان يوماً في مكان، وذكروا له أن سياحاً أتوا حديثـاً مـن بـلاد المغـرب وقالوا له: إن أهل تلك البلاد يظلون عراة لشدة الحر فيها.

فأجابهم الشيخ: عجباً وكيف تعرف النساء من الرجال هناك.

* قراءة سند *

➢ جاءت امرأة إلى جحا وقالت: يا سيدي، اقرأ لـي هـذه الورقـة، فتناولـها وقـال وهـو يتظـاهر بقراءتـها: حضـرة السـت المصونـة، والجوهـرة

المكنونة، أدام الله بقاءها. . بعد مزيد السلام والسؤال لرؤية طلعتكم البهية، صانها رب البرية، فقاطعته المرأة قائلة: يا سيدي هذه ليست رسالة بل سند دين.

فقال: لماذا لا تقولي لي هذا من الأول، كنت قرأتها لك قراءة سند.

*** قراءة بالعمامة ***

➢ ورد على أحد العامة من أهل آذربيجان كتاب بالفارسية، فصادف الشيخ جحا في طريقه فقال له: اقرأ لي هذا الكتاب، وأفهمني معناه.

فأخذ الشيخ الكتاب بيده، ولما رآه بالفارسية، قال له: ليقرأه لك غيري. وأراد أن يعيده إليه، فأصر العجمي على الشيخ، فلما رأى الشيخ ذلك قال للعجمي: إن أفكاري مضطربة لكوني تشاجرت مع امرأتي، ولاسيما وأن هذه الكتابة لو كانت تركية لما كنت أقدر على قراءتها بهذا الخط.

فغضب الإيراني وقال: أيها الشيخ، إذا كنت لا تعرف الفارسية ولا القراءة، فلماذا تضع على رأسك هذا القاووق الذي يحاكي الغربال، وتتعمم بهذه العمامة التي توازي حجر الطاحون، وتجعل نفسك في ميدان الشيوخ؟ فغضب الشيخ ورمى بقاووقه وعمامته وجبته إلى الأرض أمامه، وقال له: إذا كانت القراءة والكتابة منحصرة بالعمامة والجبة، فالبسها أنت واقرأ لي سطرين من هذا الكتاب لأرى.

* وليمة جحا *

➢ كانت ليلة شتائية قارسة البرد، فاتفق أصدقاء حجا على أنه لـو اسـتطاع المكوث طوال الليل في العراء، فإنهم سيقيمون له مأدبة فخمـة وشـهية، فوافق جحا على الفور، لكن أصدقاءه أضافوا قـائلين: ممنـوع عليـك أن تتدفأ بالنار.

فقال جحا: موافق.

فقالوا: وإذا فشلت في البقاء في الخارج حتى الصبـاح، فـإن عليـك أنـت أن تقيم لنا مأدبة، فوافق جحا على ذلك أيضاً، وخـرج وسـهر الليـل فـي العراء، وقد قاوم البرد الشديد عن طريق نقل الأحجار الثقيلة من مكـان إلى مكان، وفى الصباح أقبل عليه أصدقـاؤه وسـألوه: وكيـف اسـتطعت أن تتحمل البرد؟

فأجابهم مازحاً: إني رأيت شعاعاً من الضوء على بعـد ميـل، فاسـتدفأت به.

فقال أصحابه: إذاً لقد خرجت على الشرط الذي اتفقنـا عليـه، بـألا تتدفأ بشيء، ولذلك لن نقيم لك مأدبة.

فكر جحا بالبرد الذي عاناه خلال الليل، وأقسم بأنه إنما يمزح في حديثه عن الضوء، فتظاهروا بعدم تصديقه، بل إن أحدهـم طلـب مـن جحـا أن يقيم هو المأدبة لهم بحسب الشرط الذي اتفقـوا عليـه، ويتبنـى الآخـرون دعوى زميلهم، فطالبوا جحا بالمأدبة.

فبلغ الغيظ من جحا مبلغاً عظيماً، فقال لأصدقائه: حسناً، لقد خسرت الشرط، ومن حقكم علي أن أقيم لكم مأدبة ولكنني أنا الذي سأحدد مكانها وزمانها.

فقالوا له: ليس مهماً، افعل ما يحلو لك، المهم هو المأدبة.

قال جحا: إنني أدعوكم غداً للغداء في حديقة بيتي.

فصاح أحدهم مستنكراً: في الحديقة!؟ سيكون الطقس ممطراً وبارداً غداً، فلم لا تكون المأدبة داخل البيت؟

قال جحا: إما أن تكون المأدبة في الحديقة أو لا تكون.

جادل الأصدقاء جحا حول هذا الأمر، وانتهى جدالهم بالرضوخ لطلبه، وفي اليوم التالي جاءوا في الموعد المحدد، فانتظروا ساعة ثم جاء بعدها ليقول لهم: الطعام لم ينضج بعد.

وانتظروا ساعة أخرى، وجحا يدعي أمامهم بأن الطعام في سبيله إلى النضوج، ثم انتظروا ساعة ثالثة ورابعة، وهم يرتجفون غضباً وجوعاً وبرداً، وجحا يقسم أمامهم بأنه يطبخ لهم طعاماً شهياً... ومضى الظهر وجاء العصر، فثارت ثائرة أصدقائه، وكفوا عن تصديق ما يقوله لهم، وأرادوا أن يروا الطعام بأعينهم، فأخذهم جحا نحو شجرة قائمة وراء البيت، وأشار إلى قدر معلق في أعلى الشجرة، فسألوه: ما هذا؟

أجاب جحا: الطعام هناك في القدر.

فقالوا له: وماذا يفعل الطعام هناك؟

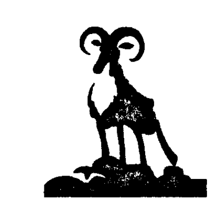
أجابهم: إنه يطبخ منذ ساعات ولم ينضج بعد.

فسألوه: أين النار؟

فدلهم على مصباح صغير موضوع تحت الشجرة، وقال هذه هي النـار.

فقـال الأصدقـاء مدهوشـين: هـل يعقـل أن يغلـي القـدر بـهذا المصبــاح الصغير مـع هذه المسافة بينهما؟

فقال لهم جحا: ما أسـرع نسيانكم ! منـذ ثلاثـة أيـام زعمتـم أنـي تدفـأت بشعاع على مسـافة ميـل، واليـوم تنكـرون أن يغلـي القـدر علـى مسـافة أذرع من شعاع المصباح!.



*** المحترم لا يغير كلامه ***

➢ سألوا جحا مرة: كم عمرك؟

فقال: عمري أربعون عاماً.

وبعد مضي عشرة أعوام سألوه أيضاً عن عمره، فقال: عمري أربعون.

فقالوا له: إننا سألناك منـذ عشـر سـنين عـن عمـرك فقلـت إنـه أربعـون والآن تقول إنه أربعون، فكيف هذا؟

فقال جحا: الرجل المحترم لا يغير كلامه، ولـو سـألتموني بعـد عشـرين سنة عن عمري فلن أزيد أو أنقص سنة واحدة.

*** التفتيش في النور ***

- كان لجحا خاتم ثمين أضاعه في داخل بيته فبحث عنه، فلم يجده. فخرج من البيت وجعل ينظر أمام الباب، فسأله جاره: ماذا تصنع؟ فقال: أضعت خاتمي في البيت،
  فقال: ولماذا لا تفتش عنه في البيت؟
  فأجابه: الظلام حالك في الداخل فلم أره هناك.

*** القمر في الماء ***

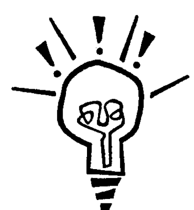
- نظر جحا ليلة إلى البئر فرأى خيال القمر في الماء، فقال: مسكين هذا القمر، كيف سقط في البئر؟ وحاول إخراجه فجعل يحرك الدلو في الماء ليصعد القمر به، فعلق الدلو بحجر، فشده جحا واعتقد أن ثقل القمر هو الذي عاقه عن الارتفاع،وبينما هو يشد بكل قوته انحرف الدلو عن الحجر فسقط الشيخ على ظهره، فرأى القمر في السماء فقال: الحمد لله، لقد انكسرت أضلاعي، ولكني أنقذت هذا المسكين.

*** الولادة والموت ***

- سأله يوماً تيمور لنك: إلى متى يلد الناس ويموتون؟
  فأجابه الشيخ فوراً : إلى أن تمتلئ الجنة وجهنم.

*** ماء البحر ***

- غطس جحا في البحر لأخذ جرعة منه لتسكين عطشه، فالتهبت معدته من الملوحة، واختلط واختلطت، فتقدم قليلاً، فوجد ماءاً عذباً، فأخذ يشرب منه حتى ارتوى، ثم أخذ وعاء وملأه وأخذه إلى البحر وصبه فيه قائلاً: لا تتكبر ولا تعمل على الناس عظمة فارغة، فالماء الذي يقال له ماء هو هذا.



*** الأجرة حسب الخدمة ***

- ذهب جحا يوماً إلى الحمام فأعطوه مناشف قديمة، ولم يقوموا بالرعاية الواجبة، فعندما خرج وضع على المرآة عشرة دراهم، فعجب الحماميون وفرحوا طبعاً.ثم بعد أسبوع حضر إلى الحمام فقابله الحماميون بالرعاية والإكرام فوق العادة، وقدموا له المناشف المزركشة، والفوط الحريرية، فلم يقل الشيخ شيئاً، ولكنه عندما خرج وضع على المرآة درهماً واحداً، فعجبوا من قلة الأجرة، وغضبوا وقالوا له : ما هذه المعاملة؟.

فأجابهم: لا شيء فوق العادة، وإنما الأجرة التي أعطيتها اليوم هي عن تلك المرة، وأجرة تلك المرة عن هذه.

* يقرأ خطه *

➢ جاءه أحد أصدقائه وقال له: أرجو أن تكتب لي رسالة إلى أحد أصدقائي في بغداد.

فقال له الشيخ: أسألك بالله أن تتركني فلا وقت عندي الآن لأذهب إلى بغداد.

* الموت أفضل *

➢ كان جحا عند أحدهم في يوم شديد الحر، فجاءوا بكأس فيه منقوع المشمش، وأخذ صاحب البيت ملعقة معدنية كبيرة وناول الشيخ ملعقة ذهبية صغيرة، وبدءا يتناولان بملعقتيهما وصاحب الدار كلما أخذ جرعة يقول: خوخ أكاد أموت بلذته.

وكان الشيخ يضرب بالملعقة الصغيرة حتى أسفل الكأس فلا يخرج له إلا القليل مما يلحسه باللسان فقط، وصاحب الدار يتناول. فقال جحا لصاحب الدار: الموت أفضل.

* قطيع الذئاب وقطيع الغنم *

➢ مر جحا يوماً برجلين يتعاركان، فقال لهما: ما شأنكما؟ فقال أحدهما: لقد طلب مني صديقي أن أتمنى شيئاً أشتهيه، فتمنيت قطيعاً من الغنم. فلما سألته عمّا يتمنى قال: أتمنى أن أرزق قطيعاً من الذئاب فأسلطه

على غنمك ليأكلها. وكان جحا يحمل على حماره زلعة عسل فصبها على الرمال، وقال لهما: صب الله دمي مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين.

*** حساب عجيب ***

- ولد له مولود في اليوم الخامس من زواجه، وفي اليوم التالي أحضر جزء ألف باء وأدوات الكتابة، ووضع هذه الأشياء عند رأس الطفل حذاء اللفافة، فقالوا: ما هذا؟

قال: إن الذي يولد بهذه السرعة يتعلم بسرعة أكبر.



*** أكل الهريسة ***

- دعا جحا ليلة عرسه أصحابه وأهله إلى مائدة سخية، وأخذوا يأكلون الطعام المهيأ لهم، وكان من الهريسة، وجحا يحبها كثيراً، لكنهم نسوا أن ينادوه ليأكل معهم، فاغتاظ منهم وخرج، وسألوا عنه بعد ساعة فلم يجدوه، فأرسوا من يبحث عنه، وأخيراً وجدوه عند أقربائه، فأحضروه وقالوا له: كيف غبت والليلة زفافك؟ فقال: لا حاجة لي بالزواج، زوجوا من أكل الهريسة.

* الغراب أولى بالصابون *

➢ ذهب جحا وامرأته لغسل أمتعتهما على شاطئ بحيرة، فلما وصلا ووضعا الأمتعة وجعلا عليها الصابون، انقض غراب، فاختطف لوح الصابون، وذهب به طائراً في الفضاء. فصاحت امرأة جحا: قم الحق! الغراب سرق الصابون. وجعلت تكثر من الصياح، فأجابها بكل برود: لم تضطربين؟ أليست ثياب الغراب أوسخ من ثيابنا؟ فهو أحوج منا إلى الصابون.

* طريق البيت في الشجرة *

➢ كان جحا مع جماعة من أصحابه في نزهة فاتفقوا فيما بينهم على أن يسرقوا حذاءه، فقالوا: من يقدر على صعود هذه الشجرة؟ فقال جحا: أنا أصعدها، فقالوا: لا تقدر. فاغتاظ منهم وجمع أطراف ثيابه وخلع حذائه ثم وضعه في عبه جيداً، وقال: انظروا كيف أصعد، فسألوه: لماذا تجعل حذاءك في عبك؟ وأي حاجة بك إليه في الشجرة؟ فقال: من أين تعرفون يا أولادي، فربما أجد طريقاً في الشجرة إلى البيت فأذهب منه.

* وقوع الجبة *

➢ سأله جاره القريب قائلاً: لقد اشتغل بالي حين سمعت ضوضاء وصياحاً في داركم، وكأني بخصومة حصلت وشيء عظيم تدحرج على السلم. فماذا جرى؟

فأجابه الشيخ منقبضاً: لقد تخاصمت مع امرأتي، ولكمت جبتي فتدهورت على السلم وحصل لها قرقعة وجلبة.

فأجابه الجار: وهل للجبة قرقعة إذا تدهورت على السلم؟

فأجابه الشيخ: اصمت يا أخي، فلماذا تقسو علي؟ لقد كنت أنا أيضاً ضمنها.



*** مشقة الحضور ***

- تألمت امرأته فأشارت إليه أن يأتي بالطبيب. فذهب لإحضاره، وبينما هو خارج من الباب أطلت من النافذة وقالت له: الحمد لله لقد زال الألم، فلا لزوم للطبيب.

ولكن الشيخ أسرع في الحال إلى الطبيب وقال له: إن امرأتي كانت تألمت وشارت بلزوم إحضارك، إلا أنها أطلت من النافذة وقالت: الحمد لله زال الألم فلا لزوم للطبيب، لذلك جئت أخبرك حتى لا تتحمل مشقة الحضور.

*** دفن عجيب ***

- عندما اقتربت وفاة جحا دعا أصدقاءه وأوصاهم بوصايا كثيرة منها: قوله: إذا مت ادفنوني قائماً. فقالوا : وما السبب؟

قال: غداً إذا قامت القيامة وصارت الدنيا مختلطة، أكون واقفاً بدون مشقة.

* الوصفة معي *

➢ اشترى جحا يوماً معلاقاً وفيما هو ذاهب صادفه أحد أصدقائه فسأله: كيف تطبخ بهذا المعلاق؟ فأجابه: حسب العادة.

فقال: كلا! إنما له طبخة أحسن أعلمك إياها.

فقال جحا: ربما لا أحفظ الوصفة، فأرجو أن تكتبها لي في ورقة فأقرأها، وأعمل بموجبها، فكتب له الرجل الورقة، واستأنف جحا السير إلى بيته غارقاً في بحر الأفكار بعامل الاشتهاء كيف يطبخه؟، وإذا ببازي انقض وخطف منه المعلاق، وطار به في الفضاء فلم يظهر جحا حيرة، بل أخذ الورقة ومدها إلى البازي قائلاً: لا فائدة لك منه، فلا تقدر على أكله لأن الورقة معي.

* الطول عند اللزوم *

➢ ذهب جحا يوماً إلى السوق، فرأى بيد الدلال سيفاً ينادي عليه بثلاثة آلاف قرش، فأخذه بيده وتأمله، فلم يجده يساوي هذه القيمة، فسأل من هناك عن ذلك فقالوا: متى أراد الإنسان أن يضرب بهذا السيف عدوه، يطول خمسة أذرع، فهز رأسه وانصرف.

وفى اليوم التالي، جاء بملقط كبير ونادى عليه: الملقط بثلاثة آلاف قرش، وأخذ يدور به، فتعجب أهل السوق وجعلوا يتأملون في الملقط، فوجدوه لا يساوي قرشين، فقالوا له: ما مزية هذا الملقط حتى تنادي عليه بثلاثة آلاف قرش؟ فأجابهم: أنتم قلتم إن السيف الذي زعمتم أنه يطول خمسة أذرع، حينما يضرب به الإنسان عدوه يساوي ثلاثة آلاف قرش، في حين أن هذا الملقط يساوي أكثر منه لأن امرأتي عندما تغضب وترميني به يطول عشرة أذرع.



*** الخل العجيب ***

- سأله جاره يوماً: هل عندك خل ابن أربعين سنة؟

فقال: نعم عندي. فقال له: أعطني قليلاً منه.

فأجابه: لا أقدر أن أعطيك. فقال: ولماذا؟ فأجابه:

لو أجبتك إلى طلبك وأجبت غيرك فهل يبقى خل ابن أربعين سنة؟

*** من يَعْلم يُعَلِّمْ من لا يَعلمُ ***

- جلس الشيخ نصر الدين أفندي يوماً على منصة للوعظ في أحد جوامع (آق شهر) وقال: أيها المؤمنون: هل تعلمون ما سأقوله لكم؟

فأجابه السامعون: كلا لا نعلم.

قال: إذا كنتم لا تعلمون فما الفائدة من التكلم؟ ثم نزل.

وعاد في يوم آخر فألقى عليهم نفس السؤال، فأجابوه هذه المرة : أجل إنا نعلم. فقال: ما دمتم تعلمون ما سأقوله، فما فائدة الكلام؟ ونزل.

فحار الحاضرون في أمرهم واتفقوا فيما بينهم على أن تكون الإجابة في المرة القادمة متناقضة، قسم يجيب لا ، وقسم يجيب نعم.

ولما أتاهم في المرة الثالثة، وألقى عليهم سؤاله الأول، اختلفت أصواتهم بين نعم ولا، فقال: حسن جداً ، من يعلم يُعلم من لا يعلم.

* لو كان للجمال أجنحة *

- قام في أحد الأيام واعظاً وقال: أيها المسلمون، احمدوا الله الذي لم يخلق للجمال أجنحة، إذ إنها لو استطاعت الطيران لهبطت على سطوح بيوتكم، فخربتها على رؤوسكم.

* هواؤنا كهوائكم *

- قال يوماً في أثناء وعظه: أيها المسلمون إن هواء هذه البلدة كهواء بلدتنا تماماً، فقالوا له: وكيف استدللت على ذلك؟

قال: إن عدد النجوم الموجودة في سمائكم وشكلها مطابق تمام المطابقة لعدد نجوم سماء بلدتنا وشكلها، فهواؤنا إذاً كهوائكم.

*** الجبة والثعلب ***

➢ ذهب الشيخ وهو طالب علم للوعظ في إحدى القرى، وكان كلما وصل إلى قرية اعتذر أهلها قائلين: لقد شرفتنا، ولكن عندنا إمام في رمضان، ولا يقبلونه، وهكذا طاف قرى متعددة وأخيراً وصل إلى قرية كان قد تسلط عليها ثعلب، فلم يبق فيها دجاجة ولا ديكاً رومياً حتى إنه اختطف أحذية بعض الأهلين وأضر بهم ضرراً عظيماً، فنصبوا له فخاً، وبكل حيلة ووسيلة أمكنهم القبض عليه حياً، وقد اجتمع أهل القرية يتذاكرون كيفية قتله، فتقدم جحا إليهم، ولما سألهم قالوا له: يا سيدنا الشيخ، إن هذا الثعلب الملعون قد تسلط علينا، ولم يبق من دواجننا ولم يذر، وقد حمدنا الله تعالى لوقوعه في الشرك الذي نصبناه له، ونحن نبحث في كيفية الانتقام منه، فقال لهم جحا في الحال: تنحوا أنتم ودعوا لي المسألة. فقال القرويون فيما بينهم: إنه رجل ذو فروة ولا بد أن يكون أعلم منا، فتنحوا له ووجهوا أنظارهم إليه. وأسرع جحا فخلع جبته وزناره، وألبسهما الثعلب وربط الجبة في وسطه ربطاً محكما، وأطلقه في البرية فصاح القرويون: ماذا صنعت؟ وقاموا يريدون القبض على الثعلب، فاعترضهم جحا ومنعهم قائلاً: أصغوا لي، فإني قد فعلت معه فعلة لا تخطر على بال أحد، فهذه الملابس ستكون سبباً في قطع رزقه، فلا يؤويه ولا يطعمه، ولا يشفق عليه إنسان.

* البرق *

- كان جحا ماراً ذات يوم بالقرب من أحد الأودية، فاعترضه راع وسأله: هل أنت فقيه يا سيدي؟ فقال جحا: نعم.
فقال الراعي: انظر إلى هذا الوادي، وإلى هؤلاء المطروحين فيه، فإنني قتلتهم جميعاً لتظاهرهم بالعلم وعجزهم عن جواب لسؤال واحد سألتهم إياه. فسأله جحا: وما السؤال؟
قال: إن القمر حين يكون هلالاً نراه صغيراً ثم يكبر حتى يصبح بدراً، ثم يعود فيصغر إلى أن يغيب، ويطلع غيره. فماذا يصنعون بالقمر القديم؟ فتنحنح جحا وقال: يا لهؤلاء الجهلة، ألم يكن فيهم من يعرف أن الأقمار القديمة تخبأ للشتاء ثم يدقونها ويصيرونها رفيعة ويعملون منها البرق؟ عند ذلك انحنى الراعي على يد جحا يقبلها وهو يقول:
أحسنت والله ، هذا هو ما خطر ببالي.. وأهدى جحا خروفاً.

* لا يصغي لكلامي *

- مات حاكم المدينة وكانت بينه وبين جحا خصومة، فلما أرادوا دفنه طلبوا جحا ورجوه أن يلقنه بعد الدفن، فأجابهم: لا، ابحثوا عن رجل غيري يلقنه، فإنه لا يصغي لكلامي لما بيننا من المشاجرة التي تعرفونها.

* لا أدري *

- جاء إلى بلدة جحا عالم كبير وسأل أهل البلدة: من أعلم العلماء عندكم؟
فقالوا: جحا ، ودلوه عليه.
فلما جلس أمامه قال له: عندي أربعون سؤالاً فهل يمكنك أن تجيبني عنها كلها في جواب واحد؟ فقال جحا: هات أسئلتك.
فردد العالم أسئلته الأربعين. فقال جحا: وهل تريد جواباً واحداً عنها؟
فقال العالم: نعم، هذا شرطي الأساسي.
فقال جحا: الأمر سهل ، أنا لا أدري بها كلها.

* عندها نتساوى *

- ذهب يوماً إلى أحد البلاد للوعظ، ونزل عند بعض الوجهاء، ففي الصباح دعاه ذلك الوجيه فأقرأه شيئاً وقرأ هو مثله وكتب له شيئاً فكتب نظيره. ثم قال له الرجل: إني قرأت ما قرأته، وكتبت ما كتبته، فلا فرق بيني وبينك، ولا حاجة لي بك؟
فأجابه الشيخ: كلا! بيني وبينك فرق عظيم، لأني حضرت ماشياً من مسافة ثلاثة أيام، وتحملت المشاق العظيمة، فلو بلغ بك الفقر ما بلغ بي، وذهبت إلى بلدي ورددتك مثلما رددتني خائباً ورجعت بخفي حنين خاسراً، فعندها أتساوى أنا وأنت.

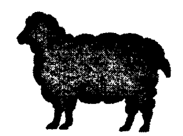
جحا واللصوص

* اسأليني واسألي الخروف *

- سمع وقع أقدام لصوص ذات ليلة هو وامرأته، فصمت قليلاً. وفي تلك البرهة ثغا خروف الشيخ، فقال أحد اللصوص لرفاقه: إنا لن نحصل على شيء في هذه الليلة، فلندخل هذا البيت ونقتل الشيخ ونذبح خروفه ونأكله ونخطف امرأته.

فأخذ الشيخ حينئذ بالسعال المتوالي بجلبة وضوضاء، ففر اللصوص، فقالت له امرأته: كأنك خفت فسعلت وعملت هذه الجلبة؟

فأجابها فوراً: طبعاً إذ لا شيء يهمك، إنما اسأليني واسألي الخروف.



* ماله تحت رأسه *

- كان جحا يزرع في النهار النصوب في بستان، ويقلعها في الليل، ويأخذها إلى البيت، فقيل له: ما هذا ؟ فأجاب: يا أولادي، الدنيا خربت، فيلزم كل إنسان أن يجعل ماله تحت رأسه، فمن يعلم ماذا يحدث.

* لا تَمُنّي عليّ *

- اصطاد يوماً في بحيرة (آق شهر) سمكاً وأراد الانصراف، فاجتمع حوله أولاد المحلة، وسرق كل منهم سمكة أو سمكتين، ولما نهض

ليذهب رأى الزنبيل فارغاً لا شيء فيه، فخاطب البحيرة قائلاً: جئت خالياً وأذهب خالياً فلا تُمُنّي عليَّ، خذي الزنبيل هذا هبة لك.. وألقاه في البحيرة وذهب.

* لا تهتمي به *

➢ دخل لص إلى دار جحا، فقالت له امرأته بلهفة: ألا ترى اللص في البيت؟ فأجابها بكل تأن: لا تهتمي به، فيا ليته يجد شيئاً فيهون علينا أخذه من يده.

* مسخ حماراً *

➢ كان جحا يمشي ذات يوم في الفلاة، فأحس وقع خطوات تقترب منه، فأرهف أذنه – دون أن يلتفت إلى الوراء – فسمع همساً أدرك أن لصين يأتمران بسرقته، وليس معه شيء يسرق غير الحمار. فلم يلتفت خشية أن يصيبه منهما مكروه، وتشاغل بمحادثة نفسه تارةً، وبالغناء تارةً أخرى، حتى يهيئ لهما الفرصة لسرقة الحمار. وشعر أن أحد اللصين يفك مقود حمار جحا، ثم يضعه في عنقه وسلم الحمار إلى صاحبه.

فتظاهر بالحيرة والدهشة وسأله متبالهاً ليهيئ له الجواب:

من أنت؟ وأين حماري؟ وكيف حللت مكانه؟

فأجاب اللص متخابثاً : إن قصتي أيها السيد الكريم، لا تكاد تُصَدّق لغرابتها، فأنا آدمي مثلك، ولكنني غلوت في الإساءة إلى أمي فيما مضى من الزمان، فلما نفد صبرها، واشتد غيظها عليّ، ابتهلت إلى الله داعية أن يمسخني حماراً، فاستجاب الله دعاءها. فخرجت من البيت هائماً في الطريق، فلقيني بعض الأشرار، فأسرع بي إلى السوق وباعني لك، وما زلت أخدمك – في أمانة وإخلاص – إلى اليوم، ولعلي بذلك قد كفرت عمّا أسلفته لأمي من إساءة. وقد رأيتني الآن أسترد آدميتي، فمشيت خلفك مفكراً فيما لقيت من عجائب الحياة، وأغلب الظن أن أمي قد عاودها رضاها عني، فراحت تستغفر الله لي حتى استجاب دعاءها مرة أخرى، فخلعت عني ثوب الحمارية، واستردتُ من فوري ثوب الآدمية.

فأجاب جحا متبالهاً : حسبك ما لقيت من عقاب إلهي، فهل تعاهدني على أن تتحرى مرضاة أمك، وأن تبذل في هذا السبيل قصارى جهدك؟ فعاهده اللص على ذلك، وهو يحسبه أكبر مغفل لقيه في حياته. ثم لقي حماره بعد أيام يبيعه اللصان، ولم يكد يدانيه حتى اختفى أولهما الذي لقيه منذ أيام، وأسلم الحمار إلى شريكه ليتم بيعه. فدنا جحا من الحمار ثم تظاهر بأنه يسر في أذنه حديثاً موجزاً. فاشتدت دهشة الناس مما رأوا، ودخلهم الفضول إلى سؤاله عمّا همس به في أذن الحمار.

فقص عليهم قصته بمسمع من اللص ثم ختمها قائلاً: وها أنا ذا أجد صاحبي قد خالف عهده، وأغضب أمه مرة أخرى، فلم يلبث أن عاودته حماريته وزايلته آدميته. فلم أتمالك أن أسررت في أذنه معاتباً: لقد حذرتك يا صاحبي من هذه العاقبة، فلم تسمع. فلا تلومن إلا نفسك!.

ولم يكد الحاضرون يستمعون إلى هذه القصة حتى استغربوا.

وشعر اللص الأفاك بالحرج، فتسلل هارباً وترك حماره، فعاد به جحا إلى داره مسروراً وقضى يومه راضياً مجبوراً، قرير العين مسروراً.

* رأس حماري *

➢ سرق بعض الأشرار مقود حمار جحا المزين بالودع، فقبض على أذن حماره وقاده إلى البيت، وبعد أيام رأى مقود حماره معلقاً في رأس حمار أكبر من حماره، فلم يكد يقترب منه حتى رأى صاحب الحمار وكان شريراً فتاكاً معروفاً، ينظر إليه شزراً. فقال جحا: يا للعجب! هذا رأس حماري، ولكن ما بال جسمه قد تغير؟ فكاد اللص يستلقي على قفاه من كثرة الضحك وأعطاه المقود طائعاً مختاراً.

* الدار الجديدة *

➢ استيقظ جحا قبيل الفجر، ذات ليلة، على صوت لص، فصبر عليه حتى سرق كل ما في البيت من متاع، وتسلل في أثره مقتفياً خطواته – وهو

لا يراه - حتى بلغ داره، فلم يكد يراه حتى تملكه الدهشة والحيرة.
فنظر إليه يسأله: كيف جئت إلى هنا؟
فقال له: جئت لأعرف الدار الجديدة التي انتقلت إليها.
فاستظرف إجابته واستحسن دعابته، ورد إليه أثاث بيته، ولم ينله منه أذىً بعد ذلك اليوم.

﴿ جحا والقضاء ﴾

* تغير وجه الإدعاء *

➢ جاء رجل يوماً إلى جحا عندما كان قاضياً وقال له: إن ثورك نطح ثوري فقتله. فهل يلزمني الضمان؟

فقال جحا: كلا. فإن جرح العجماء جبار (هدر).

فقال صاحب الثور: عذراً، لقد أخطأت، إن ثوري هو الذي نطح ثورك، فالتفت جحا منزعجاً ، وقال: لقد أشكلت المسألة، فهات هذا الكتاب الذي فوق الرف لأنظر فيه.



* اللص والجزار *

➢ دخل لص دكان جزار، وطلب منه شيئاً من اللحم، وبينما كان الجزار يشتغل بقطع اللحم، إذ فتح اللص الدرج وأخذ منه نقوداً من الفضة فلمحه الجزار، فأمسكه وساقه إلى جحا القاضي، فلما عرف حكايتهما، تحير في الحكم بينهما، وجلس يفكر ثم أمر بإحضار وعاء فيه ماء ساخن، ووضع فيه النقود، فظهر على وجه الماء دهن قليل، فعرف جحا أن النقود للجزار، فسلمها إليه ، وأمر بحبس اللص.

* الأرغفة تطير بدون أجنحة *

- أعطى رجل خبازاً دجاجة ليشويها له، وانتظر في منزله حتى تنضج، فلما قاربت النضج، فاحت رائحتها، فشمها الخباز، فطمع فيها، وأكلها مع عماله، ولما جاء صاحبها ليأخذها، ادعى الخباز أن الدجاجة بعد أن نضجت تحولت إلى أميرة جميلة ، وطارت من الفرن بجناحيها الأبيضين، فدهش الزبون، وطار عقله، وقاد الخباز إلى القاضي جحا ليحكم بينهما. سمع جحا قول الخباز، فأجل النظر في القضية إلى اليوم التالي، وأمر الخباز أن يرسل إليه خمسين رغيفاً، وفى اليوم التالي حضر الخباز والزبون، ووقف أمام جحا الذي قال للخباز: كيف تغش أيها الخباز وترسل لي أرغفة مسحورة؟ إنها قد طارت في الجو دون أن يكون لها أجنحة، إني لا أدفع لك ثمنها لأنني لم أنتفع بها، فصاح الخباز متعجباً: وكيف تطير الأرغفة يا سيدي دون أن يكون لها أجنحة؟ فقال جحا: إن الذي جعل الدجاجة تتحول إلى فتاة تطير بجناحيها الأبيضين، قادر على أن يجعل الأرغفة تطير بدون أجنحة!.

* قاض في الجنة وقاضيان في النار *

- كان جحا قاضياً للبلد، وفى يوم جلس مع قاضيين من أصدقائه، وجاء ذكر الحديث الشريف: { قاض في الجنة، وقاضيان في النار }. فقال جحا فجأة: صدق رسول الله (ﷺ) فأنا القاضي الذي سيدخل الجنة.

*** له الأجرة ولك الصوت ***

- عندما كان الشيخ نصر الدين (جحا) في قونية ذهب إلى الحاكم وطلب منه أن يعينه قاضياً، ولما لم يكن في مناصب القضاة مكان خال، اعتذر إليه الحاكم ووعده.

وعاد الشيخ بعد أيام يطلب وظيفة أخرى والحاكم يسوف ويماطله، ولما أعياه الأمر قال للحاكم: بما أنك قد أنلتني التفاتك ووعدتني أكيداً بوظيفة حسنة، فقد جئت أذكرك بوظيفة خالية لا طالب لها ولا رقيب ولا تضر بالحكومة ولا بالأهالي، وتساعد حضرتك في الأشياء التي يصعب حلها.

فقال الحاكم: أجل، قل ما هي تلك الوظيفة لأعينك فيها!.

فقال: أرجوك أن تعينني قاضي الظل في معيتك.

فأعجب الحاكم ومن معه بهذا العنوان، وقال له: عينتك قاضياً للظل، وهذه غرفتك. وأراه غرفة.

فدخل الشيخ وقعد في زاوية من الحجرة ووضع أمامه صندوقاً جعل عليه أدوات كتابية، وأوراقاً كثيرة، وثابر على الخضور كل يوم إلى أن جاء في أحد الأيام رجل ماسكٌ خصمه من تلابيبه، وقال للحاكم:

يا سيدي، هذا الرجل لا يعطيني حقي.

فقال الحاكم: وما هو حقك؟

فقال المدعي: هذا الرجل قطع اثنين وثلاثين قنطار حطب لسراج الدين أفندي، وكنت جالساً أمامه، وكلما أخذ الفأس وضرب كنت أقول: هيه، هيه، وأشجعه وأقويه، فانتفع بمساعدتي، ولما أخذ الأجرة لم يعطني شيئاً منها لقاء أتعابي.

فسأل الحاكم المدعى عليه عن كلمة (هيه)، فأجاب مصدقاً لما قال المدعي، فلم يقدر الحاكم على الفصل في هذه الدعوى، وفكر قليلاً فخطر في باله (قاضي الظل)، فقال للمدعي: نحن لا نتدخل بمثل هذه الدعوى، وإنما يراها قاضي الظل الجالس في الغرفة التي نراها أمامنا.

فأخذهما المحضر إلى الشيخ، ووقف الحاكم وراء الباب يستمع ما عسى يحكم به الشيخ.

وسمع الشيخ مقدمات الشكوى، كما تقدم شرحها، ثم قال للمدعي أجل لك الحق بذلك، وإلا فما معنى أن تقعد أمامه وتتعب كل هذا التعب وهو يأخذ الأجرة كلها.

فقال المدعى عليه: يا سيدي، أنا قطعت الحطب، وهو يتفرج عليّ، فأي حق له في الأجرة! فأجابه الشيخ: اسكت فإن عقلك لا يدرك هذا. وطلب منه الدراهم فأحضرها، فأخذ الشيخ الأجرة من قاطع الحطب تماماً وجعل يعدها، وقد أعلا يده لتحدث رنيناً شديداً، ولما أتم العمل قال للمدعى عليه: خذ دراهمك، والتفت للمدعي قائلاً: وخذ أنت صوتها.

الباب الثاني نوادر أشعب

تعريف بشخصية أشعب

شخصية أشعب صارت عنواناً للملح والنوادر في كل جيل، باعتباره من الظرفاء. فهو شخصية أضفت على الحياة أنساً ومرحاً وبهجة ومتعة.

وكانت هناك عوامل مؤثرة أثرت في أشعب وغيره من الظرفاء، إنه مجتمع المدينة الذي عرف متغيرات ما بعد الجهاد والفتوحات، حيث مرت فترة من الاستقرار والهدوء، وتوافر المال والهدوء والاستقرار والأمن والرفاهية في هذا المجتمع الذي التقط أنفاسه وأخذ يعب من الحضارات الوافدة، حضارة الروم والفرس، وينتقل بسرعة من حياة الشظف والبداوة إلى حياة الرخاء والحضارة.

فتجاذبت مكة والمدينة حركتان، حركة علمية اهتمت بالقرآن والحديث والفقه والتشريع واللغة والأدب والتاريخ، وحركة أخرى سادها الفرح والمرح والغناء والطرب، وفتحت المجال واسعاً أمام بروز شخصيات ظريفة، تجيد فن التندر والمنادمة، وتتصدر مجالس اللهو والسمر، ومن هذه الشخصيات، شخصية أشعب، التي أوسع لها أبناء علية القوم مجالسهم، فأدخلت على نفوسهم البهجة، وأطرفتهم بالملح والنوادر.

وأشعب هو: أشعب بن جبير، ويسمى أيضاً شعيباً، ويكنى: أبا العلاء، وأبا القاسم كما في الأغاني، ويقال: أبو إسحاق المدني كما في البداية والنهاية لابن كثير، ويلقب بابن أم حميدة، وقيل: إن أمه حميدة مولاة أسماء

بنت أبي بكر الصديق كما في تاريخ بغداد للخطيب، وذكر الأصفهاني أن أمه كان يقال لها: أم الحلندج أو أم الحلبذج، وقيل أم جميل، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق واسمها حميدة، وقيل: إن أمه كانت تنقل كلام أزواج النبي (ﷺ) بعضهن إلى بعض، فتلقي بينهن الشر، فتأذى رسول الله (ﷺ) بذلك، فدعا عليها فماتت.

أما والده جبير، فكان مولى لآل الزبير، خرج مع المختار بن أبي عبيدة، فأسره مصعب بن الزبير، فقال له: ويلك، تخرج علي وأنت مولاي، وقتله صبراً (أي : موثقاً).

ويقال إن أشعب هو خال محمد بن عمر الواقدي المؤرخ.

وكان أشعب مولى لعثمان بن عفان رضي الله عنه، وحكي أنه كان معه يوم حصر في الدار، فلما جرد مماليكه السيوف ليقاتلوا، كان فيهم أشعب، فقال عثمان: من أغمد سيفه فهو حر، يقول أشعب: فلما وقعت في أذني كنت والله أول من أغمد سيفه فعتقت.

ونشأ أشعب بعد موت مولاه في دور أبي طالب، وتولت تربيته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان.

وقد ذكر صاحب الأغاني أنه كانت في أشعب عدة خلال ، منها: أنه كان أطيب أهل زمانه عشرة وأكثرهم نادرة، ومنها: أنه كان أحسن الناس أداء لغناء سمعه، ومنها: أنه أقوم أهل زمانه بحجج المعتزلة، وكان امرأ منهم. ويروى أن سالم بن عبدالله بن عمر كان يستخفه ويضحك منه،

وكذلك كان أكابر الناس، وأفسح له الأمراء والخلفاء والقادة مجالسهم، بل واستدعوه إليها، وأغدقوا عليه ما يحب من مال وطعام وأثاث، واصطحبوه في رحلات السمر وندوات الأنس والمجون، وقد عرف أشعب ذلك من نفسه، فقدرها، وصقل مواهبها، وأوسع على معارفها غناءً وحديثاً وفكاهة ونوادر، وحركات تدفع إلى الضحك، وأفعالاً تثير الدهشة والإعجاب.

واختلف في مولده، فقيل كان في سنة تسع وأنه عمر طويلاً ، حتى هلك في أيام المهدي، وقال الجاحظ: إنه توفي سنة أربع وخمسين ومائة للهجرة، وتوفي بالمدينة المنورة، ودفن فيها، ويقال : إنه تنسك في آخر زمانه، وإنه حج وغزا وقرأ القرآن.

*** الطفيليون ***

- أما الطفيليون فقد كانت المآدب والأعراس شغلهم الشاغل، وهو نهمون لا يشبعون، ظرفاء يمتازون بالشراهة، يترصدون الدعوات، والطفيلي هو الداخل على القوم من غير أن يدعى.

والطفيليون يمثلون تلك الفئة التي عانت من الفقر والحرمان، وتاقت نفوسهم للحصول على ملذات الحياة، من مأكل ومشرب ولباس، فاتخذوا من التطفل طريقة لإشباع ملذاتهم، ومن هؤلاء المتطفلين طفيل العرائس، وبنان، وابن دراج، وأميرهم أشعب.

وقد جاء ذكر الطفيليين في أخبار الزمان ومروج الذهب للمسعودي، والأغاني للأصفهاني، ونثر الدر للآبي، وزهر الآداب للحصري، وجمع الجواهر والأذكياء لابن الجوزي، وكتاب التطفل للبغدادي، وكثير من آثار الجاحظ مثل كتابة الرسائل.

وفى دراسة أخبار هؤلاء الطفيليين يعثر الدارس على بغيته من معرفة العادات الاجتماعية وهموم الطبقات المختلفة والمرح والطرفة والنكتة.

* أشعب في العرس *

- علم أشعب أن في المدينة عرساً، فطفق يفكر في طريقة لا يفوته معها تذوق ما فيه من ولائم. ولذائذ، فانطلق من ساعته يسأل عن صاحب العرس إن كان له ولد غائب أو شريك في سفر، فعلم أن له ولداً في اليمن هو أخ للعروس، فأخذ في الحال ورقة بيضاء فطواها وضمها، وليس في بطنها شيء، وجعل العنوان: من الأخ إلى العروس، ثم أقبل متدللاً، فقعقع الباب قعقعة شديدة، فقال له البواب: من أنت؟ فقال أشعب: أنا رسول من عند أخي العروس، ففتح له البواب، وتلقاه صاحب البيت فرحاً، قائلاً له: كيف فارقت ولدي؟ فقال أشعب: بأحسن حال، وما أقدر أن أكلمك من الجوع! فأمر صاحب العرس بالطعام فقدم إليه، فجعل يأكل، ولم يطق صاحب الدار انتظاراً فقال: أما معك رسالة؟ فقال أشعب: نعم، ودفع بالورقة فأخذها الرجل، فوجد خاتمها

طرياً فقال: أرى الطين طريا؟ فأجاب أشعب وفمه منتفخ بالطعام: نعم، وأعجب من هذا أنه ليس في بطن الرسالة ولا حرف واحد، لأن ولدك من العجلة لم يكتب شيئاً فيه، فنظر إليه صاحب العرس شزراً وقال له: أطفيلي أنت؟ فأجاب أشعب:

نعم، أصلحك الله.

فقال الرجل: كل لا هنأك الله.

* أشعب وابنه في وليمة *

➢ كان أشعب يتحسس أماكن الولائم، ويحرص ألا تفوته واحدة منها، وجاء ابن أشعب يوماً وهو يجري مسرعاً ليخبر أباه أنه مر بباب قوم عندهم وليمة، فأسرع هو وابنه نحو تلك الدار ودخل، وإذا بصاحب الدار قد وضع سلماً، فكلما رأى شخصاً لا يعرفه قال له: اصعد يا أبي، فصعد أشعب وابنه، وتوالى الصعود إلى الغرفة حتى كادت تمتلئ، ثم رفع السلم ووضع الموائد في أسفل الدار.

وبقي أشعب ومن معه في العلو ينظرون متحيرين، ولم يستطع أشعب أن يصبر وروائح الطعام تداعب أنفه، فيسيل لعابه لهفاً ونهماً، وأنى له أن يصبر في مثل هذه الحالة؟ ففكر أشعب ودبر، وأطل على صاحب الدار وضيوفه يأكلون، فصاح به:

يا صاحب البيت! فرفع الرجل رأسه قائلاً: مالك؟ فقال له أشعب:

أيهما أحب إليك، تصعد إلينا بخوان كبير نأكل منه، أم ننزل أو أرمي بنفسي رأساً من هذا العلو؟ فيخرج من دارك قتيل ويصير عرسك مأتماً؟ ثم جعل أشعب يجر سراويله، كأنه يريد أن يعدو ويرمي بنفسه، فجعل صاحب الدار يقول: اصبر، ويلك، لا تفعل! ثم أصدر إليهم خواناً انقضوا عليه انقضاض جوارح الطير، وجعل ابن أشعب يأكل ثم يشرب ثم يأكل، حتى لا يبقى شيء يؤكل فقاموا، وعند ذلك انتحى أشعب بابنه ناحية ولطمه هامساً: لو جعلت مكان كأس الماء الذي شربته لقيمات، فأجاب الابن من الفور: إن كأس الماء يوسع محلاً للقم! فتأمل أشعب كلام ابنه لحظة، ثم صفعه ثانية، وقال: لِمَ لم تنبهني إلى ذلك قبل جلوسنا إلى الخوان؟!.

* أشعب والوالي *

➢ دخل أشعب وأتباعه داراً واسعة، فأكل من وليمة أعدت فيها وحضرها والي المدينة، وحانت من الوالي التفاتة إلى أشعب، فاستدعى صاحب الدار وقال له: من صاحب القلنسوة الطويلة والطيلسان الأخضر؟ فقال صاحب الدار: أصلح الله الأمير، هذا رجل يقال له: أشعب، يشهد هذه الولائم دُعيَ أو لم يدعَ. فقال الوالي: إذا أكل فجئني به. وفرغ الناس من الطعام، ورفعت الموائد، فأسرع صاحب البيت إلى أشعب، وأحضره إلى الوالي، فلما صار بين يديه، قال له الوالي:

هل دعاك أحد إلى هذه الوليمة؟ فوقع أشعب في حيرة وقال:

لا، أصلحك الله! فقال الوالي:

ألا تعلم أن من جاء إلى طعام لم يدعَ إليه دخل سارقاً وأكل حراما؟

قال أشعب: لا، والله ما أكلت إلا حلالاً، فنظر إليه الوالي مدهوشاً، وقال كيف ذلك؟

فأجاب أشعب: أليس يقول صاحب الوليمة للخباز: زد في كل شيء؟ وإذا أراد أن يطعم مائة، قدر لمائة وعشرين وهو يقول: قد يجيئنا من نريد، ومن لا نريد؟ فأنا ممن لا يريد.

فابتسم الوالي وأعجبه الجواب، وقال لأشعب: لقد اقتصصنا منك فينا، وذلك حق المسلمين، ولكن سلني حاجتك؟ فقال أشعب: أطال الله بقاء الأمير، حاجتي أن تكتب لي منشوراً لا يدخل عليّ أحد في هذه الصناعة إلا ويدي مطلقة عليه، فضحك الوالي، وهمس في أذن صاحب الوليمة، ثم أمر لأشعب بهدية، وأمر صاحب الوليمة له أيضاً بهدية، فخرج أشعب بأطباق من كل لون.

* أشعب والحلاق الثرثار *

➢ أرسل أشعب غلامه ليأتي له بحلاق بشرط أن لا يكون فضولياً، فانصرف الغلام وعاد برجل، فسلم وما أن دارت يده على وجه أشعب حتى قال له: جعلت فداك! هذا وجه لا أعرفه، فمن أنت؟ فقال أشعب:

اسمي أشعب، فقال الحلاق: بأبي أنت وأمي، هذا الاسم لا يجهله أحد في المدينة، ومن أين قدمت؟ فإني أرى أثر السفر عليك، فقال أشعب: من مكة.

فقال الحلاق: حياك الله، من أرض النعمة والرفاهة وبلد رسول الله ﷺ الكريم، لقد حضرت في شهر رمضان، جامعها وقد أشعلت فيه المصابيح وأقيمت التراويح. . وجعل يقص عليه قصة طويلة لا آخر لها ولا معنى، وأشعب يصبر نفسه، وفرغ الحلاق من القصة، فعاد يسأل: وأي شيء أقدمك أصلحك الله؟ فقال أشعب:

أقدمني الزمان وتقلباته، ولكن إذا فرغت سأخبرك بالأمور على وجهها، فقال: وتعرفني بالمناول والسكك التي جئت عليها؟ فقال أشعب: نعم. ومالت الشمس إلى الغروب، ولم يفرغ الحلاق من الكلام، ولم يفرغ مما جاء له، وأخيراً قال: لو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكنت حلقت رأسك، فهل ترى أن نبتدئ؟

فأسرع أشعب قائلاً: وماذا كنت تصنع فيما مضى من الوقت؟ ونهض فوثب بعيداً، وما أن استوثق أنه أفلت من يد الحلاق ومواسيه حتى صاح في الخادم: علق هذا الرجل على العقبين، فهم عليه الخادم بسواعده القوية وعلقه كما أمر، فقال له أشعب: الآن سأقص عليك ذكر ما سألتني عنه، خرجنا من مكة في المساء فنزلنا بئراً ذات نخيل في ظهيرة الغد، يا غلام: أوجع، فضربه العبد عشرة أسواط، فقال أشعب:

وركبنا عند المساء فنزلنا عين ماء حولها عشب عند طلوع النهار، يا غلام: أوجع، فضربه الخادم عشرة أخرى، وقال أشعب: وبعدئذ ركبنا وسرنا حتى وجدنا. . فصاح الحلاق مقاطعاً: يا سيدي بالله إلى أين تريد أن تبلغ؟ فقال أشعب: إلى المدينة. فقال الحلاق: لست تبلغها حتى تقتلني، فقال أشعب: أتركك على أن لا تعود؟ فصاح الحلاق: والله لا أعود أبداً، فتركه وكان المساء قد أقبل، وحضر الكندي ورفيق له، وأبصر الخادم يحل وثاق الحلاق، فسألا، فأخبرهما أشعب بالخبر، فقال الكندي: وددت أنك بلغت به إلى أن تأتي على نفسه (تقتله).

* أشعب في الحج *

- قال أشعب:كنت مع سالم بن عبدالله بن عمر وهو حاج فنزلنا منزلاً فإذا قاص يقص وقد اجتمع عليه الناس، فأردت تفريقهم عنه، فأخذت أغني بقصيدة من الشعر الرقيق فتفرق الناس عنه، فشكاني إلى سالم فقال لي: ما أردت منه؟ فقلت: المسكين يعرف ذنوبه.

* أشعب وأهل زمانه *

- قال الهيثم بن عدي: لقيت أشعب فقلت له: كيف ترى أهل زمانك هذا؟ فقال: يسألونني عن أحاديث الملوك، ويعطونني عطاء العبيد.

* أشعب والدجاج *

- قال أشعب لرجل من الناس دعاه وآخرين إلى مائدته، حين سخن دجاجة ثم بردت فسخنت، ثم بردت فسخنت: دجاج هذا الرجل كآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً، فضربته سيدته مائة سوط لهذا الكلام، ووهبت له مائة دينار.

* أشعب وابنه *

- حدث الأصمعي: قال أشعب لابنه يوماً: إني قد كبرت، فاطلب لنفسك المعاش، فقال: يا أبت، إني مثل شجرة الموز لا تحمل حتى تموت أمها.

* أشعب المحدث *

- قال المدائني: كان أشعب يروي حديثاً عن ابن عمر، فأتاه قوم فسألوه عن الحديث فقال: حدثني عبدالله بن عمر، وكان يبغضني في الله، فقيل له: دع ذلك، فقال: ليس للحق مترك.

* أشعب وجيرانه *

- قال أشعب: ما أحسست قط بجار لي يطبخ قدراً، إلا غسلت الغضار (إناء من الخزف) وكسرت الخبز وانتظرته يحمل إليّ قدره.

* أشعب والشاة *

➢ قيل لأشعب: هل رأيت من هو أطمع منك؟ فقال: نعم، شاة لي صعدت إلى السطح، فنظرت إلى قوس قزح فظنته حبل قتٍّ (عشبٍ) فاندفعت تطلبه، فسقطت واندق عنقها.

* أشعب والجارية *

➢ قيل: كان أشعب يختلف إلى جارية في المدينة، ويظهر لها التعاشق، إلى أن سألته سلفة نصف درهم، فانقطع عنها، وكان إذا لقيها في طريق سلك طريقاً أخرى، فصنعت له نشوقاً، وأقبلت به إليه، فقال لها: ما هذا؟ قالت: نشوق، عملته لهذا الفزع الذي بك.

فقال: اشربيه أنت للطمع، فإن انقطع طمعك، انقطع فزعي، وأنشد يقول:

أنـا والله أهـواك	ولكن ليس لي نفقة
فإما كنت تهويني	فقد حلت لي الصدقة

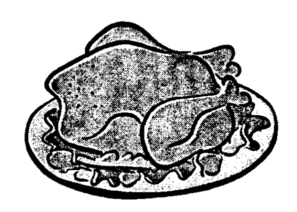
* أشعب والجدي *

➢ قيل: دخل أشعب على والي المدينة، فحضر طعامه، وكان له جدي على مائدته يتحاماه كل من حضر، فبدر إليه أشعب فمزقه، فقال له: يا أشعب، إن أهل السجن ليس لهم إمام يصلي بهم، فرأيت أن تكون لهم

إماماً فصل بهم، فإن في ذلك أجراً، فقال: والله ما أحب هذا الأمر، وتكن زوجتي طالقاً إن أكلت لحم جدي عندك حتى ألقى الله.

* أشعب عند المعلم *

➢ وقال أحدهم: كان لي ابن في المكتب وأشعب جالس عند المعلم فقرأ:إن أبي يدعوك،فقام أشعب ولبس نعليه وقال:امش بين يدي، فقال:إنما أقرأ حزبي،فقال: قد علمت أنك لا تفلح، لا أنت ولا أبوك.



* أشعب والمرأة التي تعجبه *

➢ وقيل لأشعب في امرأة: تزوجها، فقال: ابغوا لي امرأة أتجشأ في وجهها فتشبع، وتأكل فخذ جرادة فتتخم (تسمن وتشبع).

* لعلها تسقط *

➢ ويروي عمرو بن عاصم عن أبيه، قال: مررت يوماً فالتفت، فإذا أشعب ورائي، فقلت: مالك؟ قال: رأيت قلنسوتك قد مالت فقلت لعلها تسقط، فآخذها. قال: فدفعتها إليه.

* أشعب والظنون *

- ورو ى ابن المقري عن أبيه أن أشعب قال: ما خرجت في جنازة فرأيت اثنين يتساران، إلا ظننت أن الميت أوصى لي بشيء.

* أشعب والسباق *

- وقال ابن عبدالله بن يزيد الخزاعي: كان عندي أشعبُ وجماعةٌ، فسابقت بينهم على دينار، فسبقهم أشعب وقال: أنا ابن الحلندج التي كانت تحرش بين أزواج النبي ﷺ ، فقلت: ويحك! أو يفخر أحد بهذا؟ قال: لو لم يكن موثوقاً بها عندهن ما قبلن منها.

* أشعب والدخان *

- وقيل لأشعب: ما بلغ من طمعك؟ قال: أرى دخان جاري فأثرد (أفت الخبز) .

* أشعب يصطلي في نار جليسه *

- قال أشعب: جلست يوماً في الشتاء إلى رجل من ولد عقبة بن أبي معيط، فمر بي الحسن بن الحسن بن علي، فقال لي: ما يقعدك إلى جنب هذا؟ فقلت: أصطلي في ناره.

*** أشعب والأموات ***

➢ وقيل: لم يمت شريف قط من أهل المدينة إلا استدعى أشعب على وصيته أو وارثه، وقال له:
احلف أنه لم يوص لي بشيء قبل موته.

*** أشعب وامرأة تبعها ***

➢ وقيل: تبع أشعب مرة امرأة، فقالت له: وما أصنع بك ولي زوج؟ فقال: تسري بي فديتك. والتسرية اتخاذ الجارية أو العشيقة.

*** أشعب وابن عائشة ***

➢ وقيل: لما مات ابن عائشة المغني، جعل أشعب يبكي ويقول: قلت لكم زوجوا ابن عائشة من الشماسية (مغنية شهيرة في العصر العباسي) حتى يخرج بينهما مزامير داود، فلم تفعلوا، ولكن لا يغني حظر من قدر.

*** أشعب والكلب ***

➢ قال أحدهم: حدثني من رأى أشعب وقد علق رأس كلبه وهو يضربه ويقول له: تنبح للهدية وتبصبص للضيف.

*** كبريه عسى أن يهدى إليّ فيه ***

➢ وقيل وقف أشعب على امرأة تعمل طبق خوص، فقال: كبريه، قالت: لِمَ؟ أتريد أن تشتريه؟ فقال:

لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيهدي إليّ فيه، فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً.

*** أشعب والخاتم ***

➢ وقيل: قالت صديقة أشعب لأشعب: هب لي خاتمك أذكرك به، فقال: اذكريني أني منعتك إياه، فهو أحب إليّ .

*** أشعب يخرق بابه طمعاً ***

➢ وقيل: كان لأشعب خرق في بابه، فينام ويخرج يده من الخرق، ويطمع أن يجيء إنسان، فيطرح في يده شيئاً، من الطمع.

*** طمع أشعب ***

➢ قيل: كان لأشعب خرق في بابه، فكان ينام ويخرج يده من الخرق، ويطمع أن يجيء إنسان، فيطرح في يده شيئاً، من شدة الطمع، فبعث إليه بعض من كان يعبث به من أهل الزبير، فسلح في يده (تغوط) فلم يعد بعدها إلى أن يخرج يده.

* أشعب يُسأل عن طمعه *

➢ وسأل رجل أشعب: ما بلغ من طمعك؟ فقال: ما زفت عروس بالمدينة إلى زوجها قط، إلا فتحت بابي، رجاء أن تهدي إليّ.



* التسع الباقية لك *

➢ وحدث رجل فقال: قلت لأشعب: لو تحدثت عندي العشية؟ فقال: أكره أن يجيء ثقيل، فقلت: ليس غيرك وغيري، قال: فإذا صليت الظهر فأنا عندك، فصلى وجاء، فلما وضعت الجارية الطعام، إذا بصديق لي يدق الباب، فقال: ألا ترى قد صرت إلى ما أكره؟ قلت: إن عندي فيه عشر خصال، قال: فما هي؟ قال: أولها أنه لا يأكل ولا يشرب، قال: التسع خصال الباقية لك، أدخله.

* لعل الأمر صار حقاً *

➢ أخبر المدائني قال: قال أشعب مرة للصبيان: هذا عمرو بن عثمان يقسم مالاً، فمضوا، فلما أبطأوا عنه أتبعهم، يحسب الأمر صار حقاً كما قال.

*** أكره أن تنفلت مني ***

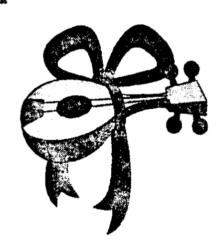
➢ وقال أيضاً: رأيت أشعب بالمدينة، يقلب مالاً كثيراً، فقلت له: ويحك! ما هذا الحرص! ولعلك أن تكون أيسر ممن تطلب منه، فقال: إني قد مهرت في هذه المسألة (أي التطفل)، فأنا أكره أن أدعها تنفلت مني.

*** لعلهما يأمران لي بشيء ***

➢ وقيل لأشعب: ما بلغ من طمعك؟ فقال: ما رأيت اثنين يتساران قط، إلا كنت أراهما يأمران لي بشيء.

*** أشعب والقبح ***

➢ وقيل: ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الاسم، فقيل له: يا أبا العلاء، أتعرف فلاناً؟ قال: ليس هذا من الأسماء التي عرضت على آدم.



*** زد فيه طوراً ***

➢ قيل: اجتاز أشعب يوماً برجل يصنع طبقاً من القش، فقال له: زد فيه طوراً أو طورين، لعله أن يهدى لنا يوماً فيه هدية.

*** خذ هذا العود لعلك تعود ***

➢ قيل: كان أشعب يتخلف إلى قينة (جارية) في المدينة، فلما أراد الخروج سألها أن تعطيه خاتم ذهب في يدها ليذكرها به، قالت: إنه ذهب، وأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود، لعلك تعود، وناولته عوداً من الأرض.

*** أشعب والمعروف ***

➢ قال رجل من قريش لأشعب: والله ما شكرت معروفي عندك، فقال: إن معروفك كان في غير محتسب فوقع عند غير شاكر.



*** أحسن الغناء ***

➢ قيل لأشعب: ما أحسن الغناء؟ فقال: نشيس (صوت) المقلي، وقيل: ما أطيب الزمان؟ قال: إذا كان عندك ما تنفقه.

*** أشعب والقبح ***

➢ قيل: نظر أشعب الى شيخ قبيح الوجه فقال له: ألم ينهكم سليمان بن داود عن أن تخرجوا بالنهار. (نسبه إلى الجن).

*** أشعب والرؤيا ***

➢ قال أشعب: رأيت رؤيا نصفها حق، ونصفها باطل، قالوا: كيف ذلك؟ قال: رأيتني أحمل بدرة (كيس به ١٠٠٠٠ درهم) فمن شدة ثقلها علي، كنت أسلح في ثيابي، ثم انتبهت، فإذا أنا بالسلح لا بالبدرة.

*** أؤخرك ولا أسلفك ***

➢ سأل رجل أشعب أن يسلفه ويؤخره، فقال: هاتان حاجتان، فإذا قضيت لك إحداهما فقد أنصفت، قال الرجل: رضيت، قال أشعب: فأنا أؤخرك ما شئت، ولا أسلفك.

*** أشعب والصريمية المغنية ***

➢ قيل: اجتازت جنازة الصريمية بأشعب وهو جالس في خوان قريش، فبكى عليها، ثم قال:

ذهب اليوم الغناء كله، إلا أنها كانت – لا رحمها الله – شر خلق الله، فقيل له:

يا أشعب، ليس بين بكائك عليها، ولعنك إياها فصل في كلامك، قال: نعم، كنا نجيئها بكبش فيطبخ لنا في دارها، ثم لا تعشينا – يشهد الله – إلا بسلق (ما يسلق على النار من ماء).

*** أشعب وصبي المدينية ***

➢ قيل: سمع أشعب صبي المدينية تقول: اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي، فقال لها:
يا فاسقة، أنت لم تسألي الله المغفرة، إنما تسألينه عمر الأبد. يريد أن الله لا يغفر لها أبداً.

*** أرأيت من هو أطمع منك ***

➢ قيل لأشعب: أرأيت أحداً قط أطمع منك؟ قال: نعم، كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك (اللبان).

*** أشعب والقوس ***

➢ قيل: ساوم أشعب رجلاً بقوس عربية، فقال الرجل: لا أنقصها عن دينار، فقال أشعب له: أعتق ما أملك، لو أنها إذا رمي بها طائر في جو السماء، ووقع مشوياً بين رغيفين، ما أخذتها بدينار.

*** أشعب وعبدالله بن عمر ***

➢ قال أشعب: بلغني أن عبدالله بن عمر كان في مال يتصدق بثمرته، فركبت ناضحاً (البعير يستقى عليه) ووافيته في ماله فقلت: يا ابن أمير المؤمنين، ويا ابن الفاروق أوقر (حمّل) لي بعيري هذا تمراً، فقال لي:

أمن المهاجرين أنت؟ قلت: اللهم لا، قال: فمن الأنصار انت؟ فقلت: اللهم لا، قال: أفمن التابعين بإحسان؟ قلت: أرجو، فقال: إلى أن يحقق رجاؤك، قال: أفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا، قال: فعلام أوقر لك بعيرك تمراً؟ قلت: لأني سائل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { إن أتاك سائل على فرس فلا ترده} . فقال: لو شئنا أن نقول لك إنه قال: لو أتاك على فرس، ولم يقل أتاك على ناضح بعير لقلنا، ولكن أمسك عن ذلك لاستغنائي عنه، لأني قلت لأبي عمر بن الخطاب: إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطيته؟ فقال: إني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم مما سألتني عنه فقال لي: نعم إذا لم تصب راجلاً، ونحن أيها الرجل نصيب رَجَّالة، فعلام أعطيك، وأنت على بعير؟ فقلت له: لا بحق أبيك الفاروق، وبحق الله عز وجل وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمَّا أوقرته لي تمراً، فقال لي عبدالله: إذن أوقره لك تمراً، ووحق الله لئن عاودت استحلافي لا أبررت لك قسمك، ولو أنك انتصرت على استحلافي بحق أبي علي في ثمرة أعطيكها، لما أنفذت لك قسمك، لأني سمعت أبي يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تشد الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجد يثرب، ولا يبر امرؤ في قسم مستحلفه إلا أن يستحلفه بحق الله وحق رسوله، ثم قال للسودان في تلك الحال: أوقروا له بعيره تمراً، قال: ولما أخذ السودان في حشو الغرائر (الأكياس) قلت: إن السودان

أهل طرب، وإن أطربتهم أجادوا حشو غرائري، فقلت: يا ابن الفاروق، أتأذن لي في الغناء فأغنيك؟ فقال لي: أنت وذلك، فاندفعت في النصب (غناء أرق من الحداء) فقال لي: هذا الغناء الذي لم نعرفه، ثم غنيته صوتاً آخر لطويس المغني وهو: من الطويل:

خليليَّ ما أخفي من الحب ناطقٌ ودمعي كما قلت الغداة شهيد

فقال لي عبدالله: يا هناه (يا رجل) لقد حدث في هذا المعنى ما لم نكن نعرفه، قال: ثم غنيت لابن سريج (من السريع):

يا عين جودي بالدموع السفاح وابكي على قتلى قريش البطاح

فقال: يا أشعب: ويحك هذا يحرق الفؤاد، قال أشعب: وكان بعد ذلك لا يراني إلا استعادني هذا الصوت.



* أشعب وسالم ابن عبدالله بن عمر *

➢ حدث أشعب فقال: جاءني فتية من قريش فقالوا: إنا نحب أن تسمع سالم ابن عبدالله بن عمر صوتاً من الغناء وتعلمنا ما يقول لك، وجعلوا لي على ذلك جُعلاً (أجراً)، فدخلت على سالم فقلت: يا أبا عمر، إن لي مجالسة وحرمة ومودة وسنًا، وأنا مولع بالترنم، قال: وما الترنم؟ قلت: الغناء، قال: في أي وقت؟ قلت: في الخلوة ومع الإخوان في المنزه،

فأحب أن أسمعك، فإن كرهته أمسكت عنه، وغنيته، فقال: ما أرى بأساً، فخرجت فأعلمتهم، قالوا: أي شيء غنيته؟ قلت: غنيته: " من الخفيف "

قربا مربط النعامة مني   لحقت حرب وائل عن حبالي

فقالوا: هذا بارد ولا حركة فيه، ولسنا نرضى، فلما رأيت دفعهم إياي وخفت ذهاب ما جعلوه لي، رجعت فقلت: يا أبا عمر، آخر، فقال: مالي ولك؟ فلم أملكه كلامه حتى غنيت، فقال: ما أرى بأساً، فخرجت إليهم فأعلمتهم، فقالوا: وأي شيء غنيته؟ فقلت: غنيته "من الخفيف":

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا   وأخو الحرب من أطاق النزالا

فقالوا: ليس هذا بشيء فرجعت إليه فقال: مه (كف) قلت: وآخر، فلم أملكه حتى غنيت من " الكامل" :

غَيَّضنَ من عبراتهن وقلن لي   ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال: نهلاً نهلاً (كفى) فقلت: لا والله إلا بذاك السراك، وفيه تمر عجوة من صدقة عمر فقال: هو لك، فخرجت به عليهم وأنا أخطر فقالوا: مه؟ فقلت: غنيت الشيخ:

غَيَّضنَ من عبراتهن وقلن لي   ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فطرب وفرض لي، فأعطاني هذا، وكذبتهم، والله ما أعطانيه إلا استكفافاً حتى أصمت.

* أشعب وأبان بن عثمان والأعرابي *

- حدث أحدهم فقال:

كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم، وبلغ من عبثه أنه كان يجيء بالليل إلى منزل رجل في أعلى المدينة له لقب يغضب منه، فيقول له: أنا فلان بن فلان، ثم يهتف بلقبه، فيشتمه أقبح شتم ويضحك، فبينما نحن ذات يوم عنده، وعنده أشعب، إذ أقبل أعرابي ومعه جمل له، والأعرابي أشقر أزرق أزعر غضوب يتلظى كأنه أفعى، ويتبين الشر في وجهه، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره، فقال أشعب لأبان: هذا والله من البادية ادعه، فدعي وقيل له: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه فسلم عليه، فسأله أبان عن نسبه فانتسب له، فقال: حياك الله يا خالي، حبيب ازداد حباً، فجلس فقال له: إني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان، فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة، وهذه القامة، واللون، والصدر، والورك، والأخفاف، فالحمد لله الذي جعل ظفري به من عند من أحبه، أتبيعه؟ فقال: نعم أيها الأمير، فقال: فإني قد بذلت لك مائة دينار، وكان الجمل يساوي عشرة دنانير، فطمع الأعرابي وسر وانتفخ، وبان السرور والطمع في وجهه، فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك – يعني في الطمع- فأوسع له مما عندك، فقال له: نعم، بأبي أنت وزيادة، فقال له أبان: يا خالي إنما زدتك الثمن على بصيرة، وإنما الجمل يساوي ستين ديناراً،

ولكن بذلت لك مائة لقلة النقد عندنا، وإني لأعطيك عروضاً تساوي مائة، فزاد طمع الأعرابي، وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير، فأسر إلى أشعب فأخرج شيئاً مغطى فقال له: قومها يا أشعب، فقال له: عمامة الأمير تعرف به، ويشهد فيها الأعياد والجُمَعَ، ويلقى الخلفاء: خمسون ديناراً، فقال: ضعها بين يديه، وقال لأحد جلسائه: أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام، ثم قال: هات قلنسوتي، فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت، تساوي نصف درهم، فقال: قوّم، فقال أشعب: قلنسوة الأمير بعلو هامته، ويصلي فيها الصلوات الخمس، ويجلس للحكم: ثلاثون ديناراً، فقال: أثبت، فأثبت الكاتب ذلك، ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي، فتربد وجهه، وجحظت عيناه، وهم بالوثوب، ثم تماسك وهو متقلقل، ثم قال لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد ثقبا (تخرقا) وتقشرا وتفتتا، فقال له: قوّم، فقال: خُفّا الأمير، يطأ بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم، أربعون ديناراً، فقال: ضعهما بين يديه، فوضعهما، ثم قال للأعرابي: اضمم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: اذهب فخذ الجمل، وقال لآخر: امض مع الأعرابي فاقبض منه ما بقي لنا من ثمن المتاع، وهو عشرون ديناراً، فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي، ثم قال له:

أتدري أصلحك الله من أي شيء أموت؟ قال: لا، قال: لم أدرك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك، ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره، وضحك أبان حتى سقط، وضحك كل من كان معه، وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم يا ابن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم: قوّم، فيهرب منه أشعب.

* أشعب ومصعب ابن الزبير *

➢ قيل: كان أشعب فيمن يألف مصعب بن الزبير، فغضبت عائشة بنت طلحة يوماً على مصعب، وكانت زوجته من أحب الناس إليه، فشكا ذلك إلى أشعب، فقال: مالي إن رضيت أصلح الله الأمير؟ قال: حكمك. قال: عشرة آلاف درهم، قال: ذلك لك. فانطلق أشعب حتى أتاها، فقال لها: جعلت فداك، قد علمت حبي لك وميلي إليك قديماً وحديثاً على غير منالٍ أنلتِنيه، ولا فائدة أفدتِنيها، وهذه حاجة قد عرضت ترتهنين بها شكري، وتقضين بها حقي بغير مرزية (من غير كلفة) قالت: وما هي؟ قال: قد جعل لي الأمير إن رضيت عشرة آلاف درهم، فقالت: ويحك، لا يمكنني ذلك، قال: بأبي أنت وأمي، ارضي عنه حتى يعطيني العشرة آلاف درهم، ثم عودي إلى ما عودك الله من سوء خلقك، فضحكت من كلامه ورضيت.

* أشعب وسكينة بنت الحسين *

- قال أشعب: كانت سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم، عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، وقد كانت أحلفته ألا يمنعها سفراً، ولا مدخلاً ولا مخرجاً، فقالت: اخرج بنا إلى عمران (دار في ديار الرياب) من ناحية عفان، فخرج بها فأقامت، ثم قالت: اذهب بنا نعتمر فدخل بها مكة، فأتاني آت فقال: تقول لك ديباجة الحرم – وهي امرأة من ولد عتاب بن أسيد: لك عشرون ديناراً إن جئتني بزيد بن عمرو الليلة في الأبطح (المحصب) قال أشعب: وأنا أعرف سكينة وأعلم من هي، ثم غلب عليَّ طباع السوء والشره، فقلت لزيد فيما بيني وبينه: إن ديباجة الحرم أرسلت إليّ بكيت وكيت، فقال: عدها الليلة بالأبطح، فأرسلت إليها فواعدتها الأبطح، وإذا الديباجة قد افترشت بساطاً في الأبطح، وطرحت النمارق (الوسائد الصغيرة يتكأ عليها)، ووضعت حشايا وعليها أنماط، فجلست عليها، فلما طلع زيد قامت إليه، فتلقته وسلمت عليه ثم رجعت إلى مجلسها، فلم نلبث أن سمعنا شحيج بغلة سكينة، فلما استبانها زيد قام فأخذ بركابها، وأجلستها على الفراش، وجلست هي على بعض النمارق، فقالت سكينة: أشعب، والله صاحب هذا الأمر، ولست لأبي إن لم يأت يصيح صياح الهرة، لن يقوم لي بشيء أبداً، فطلعت على أربع أصيح صياح الهرة، ثم دعت جارية معها مجمر كبير، فحفنت منه وأكثرت، وصبت حجر الديباجة، وحفنت لمن

معها فصبته في حجورهن، وركبت وركب زيد وأنا معهم فلما صارت إلى منزلها قالت لي: يا أشعب أفعلتها؟ قلت: جعلت فداءك، إنما جعلت لي عشرين ديناراً، وقد عرفت طمعي وشرهي، والله لو جعلت لي العشرين ديناراً على قتل أبويَّ لقتلتهما، فأمرت بالرحيل إلى الطائف، فأقامت بالطائف، وحوطت من ورائها بحيطان، ومنعت زيداً أن يدخل عليها، ثم قالت لي يوماً: قد أثمنا في زيد، وفعلنا ما لا يحل لنا، ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة، وأذنت لزيد فجاءها.

* من أخبار أشعب وسكينة بنت الحسين *

➢ حدث ولد أشعب فقال: كان أبي منقطعاً إلى سكينة بنت الحسين، وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكانت محبة له، فكان لا يستقر معها، فتقول له: أريد الحج فيخرج معها، فإذا أفضوا إلى مكة، تقول: أريد الرجوع إلى المدينة، فإذا عاد إلى المدينة قالت: أريد العمرة، فهو معها في سفر لا ينقضي، وكانت قد حلفته بما لا كفارة له، ألا يتزوج عليها، ولا يتسرى ولا يلم بنسائه وجواريه إلا بإذنها، وحج الخليفة في سنة من السنين، فقال لها: قد حج الخليفة ولابد لي من لقائه، قالت: فأحلفك بأنك لا تدخل الطائف، ولا تلم بجواريك على وجه ولا سبب، فحلف لها بما رضيت من الأيمان على ذلك، ثم قالت له: احلف بالطلاق، فقال: لا أفعل، ولكن ابعثي معي بثقتك، فدعتني، وأعطتني

ثلاثين ديناراً وقالت. اخرج معه، فلما حاذينا الطائف، قال لي: يا أشعب، أنت تعرفني وتعرف صنائعي عندك، وهذه ثلاثمائة دينار، خذها بارك الله لك فيها، واذن لي ألم بجواري، فلما سمعته ذهب عقلي، ثم قلت: يا سيدي، هي سكينة، فالله الله فيّ، فقال: أوَتعلم سكينة الغيب! فلم يزل بي حتى أخذتها، وأذنت له، فمضى وبات عند جواريه، فلما أصبحنا رأيت أبيات قوم من العرب قريبة منا، فلبست حلية وشيء كانت لزيد، قيمتها ألف دينار، وركبت فرسه وجئت إلى النساء، فسلمت ونسبنني (سألنني عن نسبي) فانتسبت نسب زيد، فحادثنني وأنسن بي، وأقبل رجال الحي، وكلما جاء رجل سأل عن نسبي فخبر به هابني وسلم علي وعظمني وانصرف، إلى أن أقبل شيخ كبير، منكر مبطون (كبير البطن) فلما خبرني ونسبني شاب حاجبيه على عينيه، ثم نظر إليّ وقال: وأبي ما هذه خلقة قرشي ولا شمائله، وما هو إلا عبد لهم باد (ذاهب إلى البادية) وعلمت أنه يريد شراً، فركبت الفرس ثم مضيت، ولحقني فرماني بسهم فما أخطأ قربوس السرج، وما شككت أنه يلحقني بآخر يقتلني فسلحت - يعلم الله - في ثيابي فلوثتها ونفذ إلى الحلة فصيرها شهرة (ظهور الشيء) وأتيت رحل زيد بن عمرو، فجلست أغسل الحلة وأجففها، وأقبل زيد بن عمرو، فرأى ما لحق بالحلة والسرج، فقال لي: ما القصة؟ ويلك! فقلت: الصدق أنجى، وحدثته الحديث فاغتاظ ثم قال لي: ألم يكفك أن تلبس حلتي وتصنع بها ما

صنعت، وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى انتسبت نسبي، وفضحتني، وجعلتني عند العرب ولاجاً جماشاً (متعرضاً للنساء) وجرى عليك ذلٌ نسب إليَّ أنا نفي من أبي ومنسوب إلى أبيك إن لم أشعرك وأبلغ في ذلك. ثم لقي الخليفة وعاد ودخلنا إلى سكينة، فسألته عن خبره كله، فخبرها حتى انتهى إلى ذكر جواريه، فقالت: إيه، وما كان خبرك في طريقك؟ هل مضيت إلى جواريك بالطائف؟ فقال لها: لا أدري، سلي ثقتك، فدعتني فسألتني، وبدأت فحلفت لها بكل يمين محرجة أنه ما مر بالطائف ولا دخلها ولا فارقني، فقال لها: اليمين التي حلفها لازمة لي إن لم أكن دخلت الطائف وبت عند جواريّ وغَشَيْتُهُنَّ (جامعتهم) جميعاً، وأخذ مني ثلاثمائة دينار، وفعل كذا وكذا، وحدثها الحديث كله وأراها الحلة والسرج، فقالت لي: أفعلتها يا أشعب؟ أنا نفية من أبي إن أنفقتها إلا فيما يسوءك، ثم أمرت بكبس (تفتيش) داري وإحضار الدنانير فأحضرت، فاشترت بها خشباً وبيضاً وسرجيناً (زبل) وعملت من الخشب بيتاً فحبستني فيه، وحلفت ألا أخرج منه ولا أفارقه حتى أحضن البيض كله إلى أن ينقب، فمكثت أربعين يوماً أحضن لها البيض حتى نقب وخرج منه فراريج كثيرة فربتهم وتناسلن، فكن بالمدينة يسمين بنات أشعب ونسل أشعب، فهؤلاء إلى الآن بالمدينة نسل يزيد على الألوف كلهن أهلي وأقاربي.

* أشعب ورجل يمزح به *

➢ كان في المدينة رجل من علية القوم يحب أن يعبث بأشعب أشد العبث، وربما أراه في عبثه أنه قد ثمل وأنه يعربد عليه، ثم يخرج إليه بسيف مسلول ويريه أنه يريد قتله، فيجري بينهما في ذلك كل ممتع، فهجره أشعب مدة طويلة، ثم لقيه يوماً، فقال له: يا أشعب، هجرتني وقطعتني ونسيت عهدي، فقال له: بأبي أنت وأمي، لو كنت تعربد بغير السيف ما هجرتك، ولكن ليس مع السيف لعب، فقال له: فأنا أعفيك من هذا فلا تراه مني أبداً، وهذه عشرة دنانير، ولك حماري الذي تحتي أحملك عليه وصر إلى ذلك الشرط ألا ترى في داري سيفاً، قال: لا والله، أو تخرج كل سيف في دارك قبل أن نأكل، قال: ذلك لك، فجاءه أشعب، ووفى له بما قال من الهبة وإخراج السيوف، وخلف عنده سيفاً في الدار، فلما توسط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيف مشهوراً، ثم قال: يا أشعب، إنما أخرجت هذا السيف لخير أريده بك، قال: بأبي أنت وأمي، فأي خير يكون مع السيف؟ ألست تذكر ذلك الشرط بيننا؟ قال له: فاسمع ما أقول لك، لست أضربك به، ولا يلحقك منه شيء تكرهه، وإنما أريد أن أضجعك وأجلس على صدرك، ثم آخذ حلقك بإصبعي من غير أن أقبض على عصب ولا ودج (عرق في العنق) ولا مقتل، فأحزها بالسيف ثم أقوم عن صدرك وأعطيك عشرين ديناراً، فقال: نشدتك الله ألا تفعل بي هذا! وجعل يصرخ ويبكي ويستغيث والرجل لا

يزيده على الحلف له، أنه لا يقتله ولا يتجاوز به أن يحز جلدة حلقه فقط، ويتوعده مع ذلك بأنه إن لم يفعله طائعاً فعله كارهاً، حتى إذا طال الخطب بينهما، واكتفى الرجل من المزاح معه، أراه أنه يتغافل عنه، وقال له: أنت لا تفعل هذا طائعاً، ولكن أجيء بحبل فأكتفك به، ومضى كأنه يجيء بحبل، فهرب أشعب وتسور حائطاً بينه وبين دار لجاره، فسقط إلى الأرض، فانفكت رجله وأغمي عليه، فخرج صاحب الدار فزعاً، فسأله عن قصته، فأخبره فضحك منه وأمر له بعشرين ديناراً، وأقام في منزله يعالجه ويعوله إلى أن صلحت حاله.

* أشعب ورجل يعبث به *

➢ دعا رجل من علية القوم أشعب للإقامة عنده، فلبى أشعب الدعوة، فقال الرجل له يوماً: أنا أشتهي كبد هذه الشاة، وأشار إلى شاة عنده عزيزة عليه، فارهة. فقال أشعب: بأبي أنت وأمي، أعطنيها وأنا أذبح لك أسمن شاة بالمدينة، فقال: أخبرك أني أشتهي كبد هذه وتقول لي أسمن شاة بالمدينة، اذبح يا غلام، فذبحها وشوى له من كبدها وأطايبها، فأكلا، ثم قال لأشعب من الغد: أنا أشتهي من كبد نجيبي (الجمل القوي الخفيف) هذا، وأشار لنجيب كان عنده ثمنه ألوف الدراهم، فقال له أشعب: يا سيدي لي ثمن هذا والله غناي فأعطنيه وأنا والله أطعمك من كبد كل جزور بالمدينة، فقال: أخبرك أني أشتهي من كبد هذا وتطعمني من

غيره، يا غلام انحر، فنحر النجيب وشوى كبده فأكلا، فلما كان اليوم الثالث قال له: يا أشعب، أنا والله أشتهي أن آكل من كبدك. فقال له: سبحان الله، أتأكل من كبد الناس؟ قال: قد أخبرتك، فوثب أشعب فرمى بنفسه من درجة عالية، فانكسرت رجله، فقيل له: ويلك، أظننت أنه يذبحك؟ فقال: والله لو أن كبدي وجميع أكباد العالمين جميعاً اشتهاها لأكلها، وإنما فعل الرجل بالشاة والنجيب ما فعل، توطئة للعبث بأشعب.

*** أشعب والجدي الذي أرضعه لبن زوجته ***

- حدث أحدهم فقال: غذى أشعب جدياً بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغاية، قال: ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته: أي ابنة وردان إني أحب أن ترضعيه بلبنك، قال: ففعلت، قال: ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال: بالله إنه لابني، قد رضع من لبن زوجتي وقد حبوتك به، ولم أر أحداً يستأهله سواك، قال: فنظر إسماعيل إلى فتنة من الفتن، فأمر به فذبح وسمط، فأقبل عليه أشعب، فقال: المكافأة، فقال: ما عندي والله اليوم شيء ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك، فلما يئس منه قام من عنده فدخل عليه أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه، ثم قال: أخلني، فقال: ما معنا أحد يسمع ولا عين عليك، قال: وثب ابنك إسماعيل على ابني فذبحه، وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع جعفر وصاح: ويلك، وفيم؟ وتريد مالاً؟ قال: أما ما أري

فوالله ما لي في إسماعيل حيلة، ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك، فجزاه خيراً وأدخله منزله، وأخرج إليه مائتي دينار، وقال له: خذ هذه ولك عندنا ما تحب، قال: وخرج إسماعيل لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مترسل في مجلسه، فلما رأى وجه أبيه أنكره، وقام إليه، فقال: يا إسماعيل أوَ فعلتها بأشعب؟ قتلت ولده، قال: فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته كذا، وخبره الخبر، فأخبره أبوه ما كان منه وما صار إليه، قال: فكان جعفر يقول لأشعب: رعبتني رعبك الله، فيقول: روعة ابنك والله إياي في الجدي، أكبر من روعتك أنت في المائتي دينار.

* أشعب والوالي البخيل *

➢ قال أشعب: ولي المدينة رجل من ولد عامر بن لؤي، وكان أبخل الناس وأنكدهم، وأغراه الله بي، يطلبني في ليله ونهاره، فإن هربت منه هجم على منزلي بالشرطة، وإن كنت في موضع بعث إلى من أكون معه أو عنده يطلبني منه، فيطالبني بأن أحدثه وأضحكه، ثم لا يسكت ولا ينام، ولا يطعمني ولا يعطيني، فلقيت منه جهداً عظيماً وبلاءً شديداً، وحضر الحج فقال لي: يا أشعب، كن معي، فقلت: بأبي أنت وأمي، أنا عليل، وليست لي نية في الحج، فقال: عليه وعليه، وقال: لئن لم تخرج معي لأودعنك حيث أقدم، فخرجت معه مكرهاً، فلما نزلنا المنزل أظهر أنه صائم ونام حتى تشاغلت، ثم أكل ما في سفرته، وأمر غلامه أن

يطعمني رغيفين بملح، فجئت وعندي أنه صائم، ولم أزل أنتظر المغرب أتوقع إفطاره، فلما صليت المغرب قلت لغلامه: ما ينتظر بالأكل؟ قال: لقد أكل منذ زمان، قلت: أو لم يكن صائماً؟ قال: لا، قلت: أفأطوى (أجوع) أنا؟ قال: قد أعد لك ما تأكل فكل، وأخرج لي الرغيفين والملح وبت ميتاً جوعاً، وأصبحت فسرنا حتى نزلنا المنزل، فقال لغلامه: ابتع لنا لحماً بدرهم، فابتاعه، فقال: كبب لي قطعاً، ففعل، فأكله ونصب القدر، فلما أغبرت قال: اغرف لي منها قطعاً، ففعل، فأكلها ثم قال: اطرح فيها ذمة وأطعمني منها، ففعل ثم قال: ألق اللحم كله، قال: يا غلام أطعم أشعب، ورمى إليّ برغيفين، وأخرج له جراباً فيه فاكهة يابسة، فأخذ منها حفنة فأكلها وبقي كف لوز بقشره، ولم يكن له فيه حيلة، فرمى به إليّ وقال: كل هذا يا أشعب، فذهبت أكسر واحدة منها فإذا بضرسي قد انكسرت منه قطعة، فقطعت بين يدي، وتباعدت أطلب حجراً أكسره به، فوجدته، فضربت له لوزة فطفرت (ابتعدت) – يعلم الله– مقدار رمية حجر، وعدت في طلبها، فبينما أنا في ذلك إذ أقبل مصعب – يعني ابن ثابت – واخوته يلبون بتلك الحلوق الجهورية، فصحت بهم: الغوث الغوث، العياذ بالله ويلكم يا آل الزبير، الحقوني وأدركوني، فركضوا إليّ فلما رأوني قالوا: أشعب مالك ويلك؟ فقلت: خذوني معكم تخلصوني من الموت، فحملوني معهم فجعلت أرفرف بيدي كما يفعل الفرخ إذا طلب الزق من أبويه، فقالوا: مالك

ويلك؟ فقلت: ليس هذا وقت الحديث، ذوقوني مما معكم، فقد مت ضراً وجوعاً منذ ثلاث، قال: فأطعموني حتى تراجعت نفسي، وحملوني معهم في محمل، ثم قالوا: أخبرنا بقصتك، فحدثتهم وأريتهم ضرسي المكسورة، فجعلوا يضحكون ويصفقون وقالوا: ويلك، من أين وقعت على هذا؟ هذا أبخل خلق الله وأدناهم نفساً، فحلفت بالطلاق أني لا أدخل المدينة مادام بها هذا السلطان، فلم أدخلها حتى عُزل.

*** أشعب وأم عمر بنت مروان ***

➢ قيل: حجت أم عمر بنت مروان فاستحجبت (ولته الحجابة على دارها) أشعب، وقالت له: أنت أعرف بأهل المدينة، فأْذن لهم على مراتبهم، وجلست لهم ملياً، ثم قامت فدخلت القائلة، فجاء طويس فقال لأشعب: استأذن لي على أم عمر، فقال: مازالت جالسة وقد دخلت، فقال له: يا أشعب ملكت يومين، فلم تفت بعرنين، ولم تقطع شعرتين، فدق أشعب بالباب ودخل إليها فقال لها: أنشدك الله يا بنت مروان، هذا طويس بالباب، فلا تتعرضي للسانه ولا تعرضيني، فأذنت له، فلما دخل إليها وقال لها: والله لئن كان بابك مغلقاً، لقد كان باب أبيك فلقاً (مفتوحاً) ثم أخذ دفه ونقر به وغنى "من الكامل"

ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه   في النوم غير مصرد محسوبِ

كان المنى بلقائها فلقيتها   فلهوت من لهو امرئ مكذوبِ

قالت: أيهما أحب إليك، العاجل أم الآجل؟ فقال: عاجل وآجل، فأمرت له بكسوة.

* أشعب والعجوز *

- قيل: كانت عجوز شديدة العين، لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عانته (أصابته بعينها أي: حسدته)، فدخلت على أشعب وهو في الموت يقول لبنته: يا بنية، إذا مت فلا تندبيني والناس يسمعونك، فتقولين: وا أبتاه، أندبك للصوم والصلوات، وا أبتاه، أندبك للفقه والقراءة، فيكذبك الناس ويلعنوني، والتفت أشعب فرأى المرأة، فغطى وجهه بكمه وقال لها: يا فلانة، بالله إن كنت استحسنت شيئاً مما أنا فيه، فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، لا تهلكيني، فغضبت المرأة وقالت: سخنت عينك (مرضت) في أي شيء أنت مما يستحسن، أنت في آخر رمق! قال: قد علمت، ولكن قلت لئلا تكوني قد استحسنت خفة الموت عليّ وسهولة النزع، فيشتد ما أنا فيه، وخرجت من عنده وهي تشتمه، وضحك كل من كان حوله من كلامه، ثم مات.

* أشعب والغاضري *

- حدث أحدهم قال: بلغ أشعب أن الغاضري قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة قد استطابوه، فرقبه حتى علم أنه في مجلس من

مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم، فصار إليه، ثم قال له: قد بلغني أنك قد نحوت نحوي، وشغلت عني من كان يألفني، فإذا كنت مثلي فافعل كما أفعل، ثم غضن وجهه وعرضه وشنجه حتى صار عرضه أكثر من طوله، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهه وقال له: افعل هكذا، وطول وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره حدبة كسنام البعير، وصار طوله مقدار شبر أو أكثر، ثم قام فتطاول وتمدد وتمطى حتى صار أطول ما يكون من الرجال، فضحك والله القوم حتى أغمي عليهم، وقطع الغاضري فما تكلم بنادرة، ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره، إنما أنا تلميذك وخريجك، ثم انصرف أشعب وتركه.

*** أشعب والرجل الذي أجرى عليه الرزق ***

➢ عن عمير بن خيثمة، عن أشعب قال: أتيت خالد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ليلة أسأله، فقال لي: أنت على طريقة لا أعطي على مثلها، فقلت: بلى، جعلت فداءك، فقال: قم فإن قدر شيء فسيكون، قال: فقمت، فإني لفي بعض سكك المدينة، إذ لقيني رجل فقال: يا أشعب إن كان الله قد ساق إليك رزقاً فما أنت صانع؟ قلت: أشكر الله وأشكر من فعله، قال: كم عيالك؟ فأخبرته، قال: قد أمرت أن أجري عليك وعلى عيالك ما كنت حياً، قلت: من أمرك؟ قال: لا أخبرك ما كانت هذه فوق هذه، يريد السماء، وأشار إليها، قلت: إن هذا معروف يشكر، قال: الذي

أمرني لم يرد شكرك، وهو يتمنى ألا يصل مثلك. قال: فمكثت آخذ ذلك إلى أن توفي خالد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، قال: فشهدته قريش وحفل له الناس، قال: فشهدته فلقيني ذلك الرجل فقال: يا أشعب، انتف رأسك وبل لحيتك، هذا والله صاحبك الذي كان يجري عليك ما كنت أعطيك، وكان والله يتمنى مباعدة مثلك، فحمله الله الكريم إذ سألته أن يفعل بك ما فعل، قال عمير: قال أشعب: فعملت بنفسي والله يومئذ ما حل وحرم.



*** أشعب والوليد بن يزيد ***

- حدث المدائني قال: بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعدما طلق امرأته سعدة فقال له: يا أشعب، لك عندي عشرة آلاف درهم إن تبلغ رسالتي سعدة، فقال له: أحضر المال حتى أنظر إليه، فأحضر الوليد بدرة فوضعها أشعب على عنقه، ثم قال: هات رسالتك يا أمير المؤمنين، قال: قل لها: يقول لك: (من الوافر)

أسعدة هل إليك لنا سبيل ... وهل حتى القيامة من تلاقي؟
بلى ولعل دهراً أن يواتي ... بموت من حليلك أو طلاق
فأصبح شامتاً وتقر عيني ... ويجمع شملنا بعد افتراق

قال: فأتى أشعب الباب، فأخبرت بمكانه، فأمرت ففرشت لها فرش وجلست فأذنت له، فدخل فأنشدها ما أمره، فقالت لخدمه: حذوا الفاسق، فقال: يا سيدتي، إنها بعشرة آلاف درهم، قالت: والله لأقتلنك أو تبلغه كما بلغتني. قال: وما تهبين لي؟ قالت: بساطي الذي تحتي، قال: قومي عنه، فقامت فطواه ثم قال: هاتي رسالتك جعلت فداءك، قالت: قل له:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها فقد ذهبت لبنى فما أنت صانع؟

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت فقال: أواه، قتلتني والله، ما تراني صانع بك يا ابن الفاعلة؟ اختر إما أن أدليك منكساً في بئر، أو أرمي بك من فوق القصر منكساً، أو أشرب رأسك بعمودي هذا ضربة، فقال: ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك، قال: ولمَ؟ قال: لأنك لم تكن لتقرب رأساً فيه عينان قد نظرا إلى سعدة، قال: صدقت، اخرج عني.

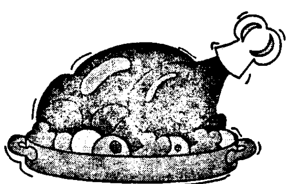
* أشعب يسأل عن سنه *

➢ حدث محمد بن عثمان بن عفان قال: قلت لأشعب: لي إليك حاجة، فحلف بالطلاق لابنة وردان: لا سألته حاجة إلا قضاها، فقلت له: أخبرني عن سنك؟ فاشتد ذلك عليه حتى ظننت أنه يستطلق، فقلت له: على رسلك، وحلفت له: إني لا أذكر سنه مادام حياً، فقال لي: أما إذ

حلفت فقد هونت عليّ، أنا والله حيث حصر جدك عثمان بن عفان أسعى في الدار ألتقط السهام.

* ماذا حفظ أشعب من الحديث *

- قال أبو البحتري: حدثني أشعب عن عبدالله بن جعفر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { لو دعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إليّ كراع لقبلت }.



* فضحتني في الناس *

- قيل: جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير، فشكا إليه، فأمر بصاع من تمر، وكانت حال أشعب رثة، فقال له أبو بكر بن يحيى: ويحك يا أشعب! أنت في سنك وشهرتك تجيء في هذه الحال، فتضع نفسك، فتعطى مثل هذا؟ اذهب فادخل الحمام، واخضب لحيتك، قال أشعب:

ففعلت ثم جئته فألبسني ثياب صوف له وقال: اذهب الآن فاطلب، فذهبت إلى هشام بن الوليد، صاحب البغلة من آل ربيعة، وكان رجلاً شريفاً موسوراً، فشكا إليه فأمر له بعشرين ديناراً، فقبضها أشعب

وخرج إلى المسجد، وطفق كلما جلس في حلقة يقول: أبو بكر بن يحيى، جزاه الله عني خيراً، أعرف الناس بمسألة، فعل بي وفعل، فيقص قصته، فبلغه ذلك، فقال له: يا عدو نفسه! فضحتني في الناس، أفكان هذا جزائي؟!.

* أشعب يتقيأ ما أكله *

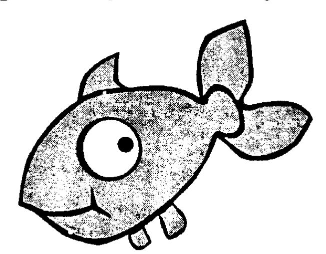
➢ حدث الأصمعي فقال:

ولي المنصور زياد بن عبدالله مكة والمدينة، قال أشعب: فلقيته بالجحفة، فسلمت عليه، قال: فحضر الغداء، وأهدي إليه جدي فطبخه مضيرة وحشيت القبة قال: فأكلت أكلاً أتملح به، وأنا أعرف صاحبي، ثم أتى بالقبة فشققتها، فصاح الطباخ: إنا لله، شق القبة، قال: فانقطعت، فلما فرغت قال: يا أشعب، هذا رمضان قد حضر، ولابد أن تصلي بأهل السجن، قلت: والله ما أحفظ من كتاب الله إلا ما أقيم به صلاتي، قال: لابد منه، قال: قلت: أولا آكل جدياً مضيرة؟ قال: وما أصنع به وهو في بطنك، قال: قلت: الطريق بعيد، أريد أن أرجع إلى المدينة، قال: يا غلام، هات ريشة ذنب ديك، قال أشعب: والجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك، قال: فأدخلت في حلقي فتقيأت ما أكلت، ثم قال لي: ما رأيك؟ قلت: لا أقيم ببلدة يصاح فيها: شق القبة، قال: لك وظيفة على السلطان، وأكره أن أكسرها عليك، فقل ولا تشطط (تسرف وتجاوز

الحد) فقلت: نصف درهم كراء حمار يبلغني المدينة، قال: أنصفت وأعطانيه.

*** أشعب والسمك ***

➢ حكي أن قوماً كانوا يجلسون، عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتاناً إذ استأذن عليهم أشعب، فقال أحدهم: إن من شأن أشعب البسط إلى أجلّ الطعام، فاجعلوا كبار الحيتان في قصعة بناحية، ويأكل معنا الصغار، ففعلوا وأذن له، فقالوا :كيف رأيك في الحيتان؟ فقال: وا إن لي عليها لحرداً شديداً وحنقاً، لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان! قالوا له: فدونك، خذ بثأر أبيك. فجلس ومد يده إلى حوت صغير منها،



ثم وضعه عند أذنه وقد نظر إلى القصعة التي فيها الحيتان في زاوية المجلس، فقال: أتدرون ما يقول لي هذا الحوت؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: إنه لم يحضر موت أبي ولم يدركه، لأن سنه يصغر عن ذلك، ولكنه قال لي: عليك بتلك الكبار التي في زاوية البيت، فهي أدركت أباك وأكلته.

* أشعب والدينار *

➢ قيل: جاءت جارية أشعب بدينار وقالت: هذا الدينار وديعة عندك، فجعله بين ثني الفراش، فجاءت بعد أيام فقالت: بأبي، الدينار، فقال لها: ارفعي الفراش وخذي ولده، وكان قد ترك جنبه درهماً، فتركت الدينار وأخذت الدرهم، ثم عادت بعد أيام فوجدت معه درهماً آخر، وعادت في الثالثة كذلك، فلما رآها في الرابعة بكى، فقالت: ما يبكيك؟ فقال: مات دينارك في النفاس. قالت: وكيف يكون للدينار نفاس؟ قال: يا فاسقة، تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس!

* أشعب لا يحسن إلا الأكل *

➢ سافر أشعب مع رجل من التجار أردفه خلفه على جمله، فلبث أشعب معه طوال الطريق، ينزلان ويقومان، والرجل في كل يوم يحضر الطعام ويجهزه، وأشعب لا يصنع شيئاً، فقال له الرجل ذات يوم: قم اليوم فاطبخ، فقال أشعب: لا أحسن ذلك، فطبخ الرجل ثم قال لأشعب: قم فاثرد (فت الخبز بالمرق).

فقال أشعب: والله كسلان، فثرد الرجل ثم قال: قم فاغرف، فقال أشعب: أخشى أن ينقلب على ثيابي، فغرف الرجل ثم قال لأشعب: قم الآن فكل، فنهض أشعب مسرعاً قائلاً: قد والله استحييت من كثرة خلافي عليك، وتقدم إلى الأكل فقام فيه مقام رجلين.

* أشعب والخليفة *

➢ قال الخليفة يوماً لأشعب: قد علمت أنك ذو بصر بالطعام، فما تقول في " اللوزينج " و " الفالوذج " أيهما أطيب؟
فأجاب أشعب: يا أمير المؤمنين، لا أقضي على غائب، فأمر الخليفة، فأحضرت له مائدة عليها هذان اللونان، وقال لأشعب: اقض بينهما الآن.
فانقض أشعب من فرط جوعه على الخوان، وجعل يأكل من "الفالوذج" ساعة، ومن "اللوزينج" ساعة، وهو لا ينبس بحرف، وقد انتفخ فمه بالطعام، وازدحم حلقه من الازدراد، فقال الخليفة: قل، أيهما أطيب؟ وقال الوزير: اقض لأحدهما.
فتردد أشعب وحار بين اللونين، ثم عاد فأخذ من هذه لقمة، ومن ذاك لقمة، وقال: يا أمير المؤمنين، كلما أردت أن أقضي لأحدهما، أدلى الآخر بحجته. فضحك الخليفة واستظرفه وقال له: تشه عليّ.. . أي لون تريد؟ فاطمأن أشعب وقال مترنماً:

ألا ليت خبزاً قد تسربل رائباً   وخيلاً من البرميّ فرسانها الزبد

* أشعب يدعي المرض احتيالاً *

➢ روى الأصمعي ، عن أشعب أنه قال: دخلت على سالم بن عبدالله بن عمرو، فقال لي: حُمل إلينا هريسة وأنا صائم، فاقعد وكُل، فأمعنت،

فقال: ارفق فما بقي يحمل معك، فرجعت، فقالت امرأة: يا شؤم، بعث عبدالله بن عمرو بن عثمان يطلبك، فقلت: إنك مريض! فقلت: أحسنت، فدخلت حماماً وتمرجت بدهن وصرّة، وعصبت رأسي وأخذت قصبة أتوكأ عليها، وأتيته، فقال: أشعب؟ قلت: نعم، جُعلت فداءك، وأقمت منذ شهرين، وكان عنده سالم ولم أشعر به، فقال لي: ويحك يا أشعب! وغضب وخرج، فقال عبدالله: ما غضب خالي إلا من شيء، فاعترفت له، فضحك هو وجلساؤه، ووهب لي، فخرجت، فلقيت سالماً في الطريق فقال: ويحك! أ تأكل عندي اليوم هريسة، قلت: بلى، فقال: وا لقد شككتني.